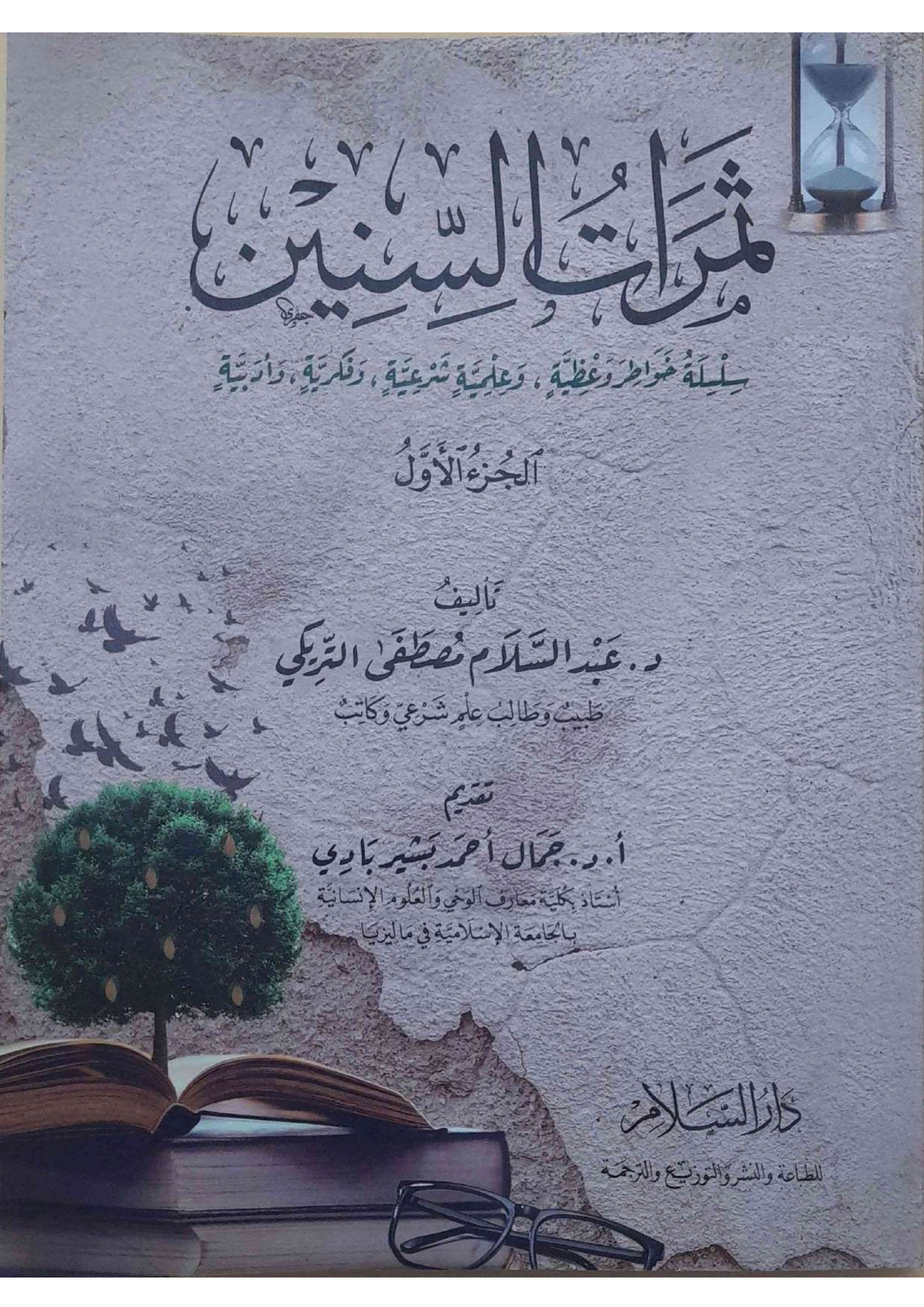


ثمرات السنين
سلسلة خواطر وعظية، وعلمية شرعية، وفكرية، وأدبية
الجزء الأول
تأليف
د. عبد السلام مصطفى التريكي
طبيب وطالب علم شرعي وكاتب
تقديم
أ.د. جمال أحمد بشير بادي
أستاذ بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية
بالجامعة الإسلامية في ماليزيا
دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

ثمرات السنين

سلسلة خواطر وعظية، وعلمية شرعية، وفكرية، وأدبية

الجزء الأول

تأليف

د. عبد السلام مصطفى عبد السلام التريكي

طبيب وطالب علم شرعي وكاتب

تقديم

أ. د. جمال أحمد بشير بادي

أستاذ بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية

بالجامعة الإسلامية في ماليزيا

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهداء

إلى أحب الناس إلى قلبي ومن كانوا سندًا لي بعد اللَّه في هذا الجهد المتواضع، والذي أسأل اللَّهَ ﷻ أن يطرح فيه البركة وأن يتقبله..

* إلى أمي الحبيبة، صاحبة أعظم فضل علي في حياتي بعد اللَّه، إلى نبع الحنان، بل هي كل الحنان، التي لا تعرف إلا الحب، ولا تجيد إلا لغة الصفح والعفو، إلى مَن ساندتني ولا زالت بفضل اللَّه تمدني بالدعاء والحب ولن أوفيها حقها، حفظها اللَّه، وأدام عافيتها وبارك في عمرها.

* إلى والدي الحبيب، شيخي ومعلمي وحبيبي وقدوتي ونبراس حياتي بعد اللَّه، العلامة الشيخ مصطفى التريكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مَن عرفت اللَّهَ ورسوله وهذا الدين العظيم بتعليمه وتوجيهه، مَن تعجز الكلمات أن توفيه جزءًا من فضله علي ونصحه، إلى مَن تجسّد حبُّه في جوارحي وغلب على فكري وعقلي، وسلب حبه فؤادي. اللَّهم اجمعني به في الفردوس الأعلى من الجنة.

* إلـى زوجتي الغاليـة، وأم أطفالي ورفيقـة دربـي وأنيستي، إلى من شاركتني فرحي وحزني، وكانت خير مستشارة في كثير من أمري، إلى مَن صبرت معي ومع أطفالي - ولا زالت - حفظها اللَّه وسلمها وأدام المحبة والود بيننا.

* إلى أطفالي الأحبة؛ بناتي وابنيَّ، زينة الدنيا ونعمة اللَّه ومشروع حياتي، وبسمتي ومهجتي وسلوتي بعد اللَّه ونـور قلبي، إلى مَـن أدخلـوا السرور على قلبي، وكانوا ولا زالـوا يرسمـون بسمتي. حفظكم الرحمن وبـارك فيكم وفي صحتكم وأوقاتكم وأعماركم وجعلكم قدوة للمتقين.

* إلـى إخوتـي وأخواتي، إلـى أحبتي ورفقاء طفولتي وعمري، إلى مَن عشت معهم أحلى أيام عمري ولـم يتوقف يومًـا حبهم ونصحهم لـي، وهم خيـر سند لي، حفظكم الرحمن وبارك فيكم وأدام عليكم الصحة والعافية.

تَقْدِيم

للخواطر أسماء متعددة: كالحدس والإلهام والكشف والفتح، ويطلق على بداياتها عند ولادتها: الومضات والبوارق والسواطع واللوامع. وقد حصر المحققون من أهل العلم مجالها في الفهم والإدراك، واشترطوا لها التقوى والعلم، وذكروا أن مكان سطوعها وبروقها هو القلب، أما العقل فدوره التنبه لها والتقاطها، ثم تغذيتها وتحويرها والتعبير عنها.

لذلك ترتبط الخواطر ارتباطًا وثيقًا بالإبداع، وتقتضي ولادتها إتقان عدة فنون تتداخل وتتناغم بشكل معقد عجيب، ويستلزم تشكلها شروطًا قبلية، أهمها: الرغبة والعناية والاهتمام بالموضوع الذي يخص موضوعها. كما يقتضي توفر سعة الخيال وروح التساؤل والفضول عند صاحبها لكل ما يقرأ ويسمع رغبةً في الاستيعاب، وحسن الفهم لقضايا ذلك الموضوع.

يساعد التحقق بتلك الشروط على إيجاد مناخ مناسب يجمع بين الاستعداد النفسي والانفتاح الفكري؛ لتلقي الخواطر وترقبها وورودها على قلب صاحبها، ويُيَسرُ له ملاحظتها والانتباه إليها واصطيادها. يتبع ذلك مباشرة تقييدها الذي لا يكتمل إلا بإتقان فنون التعبير عنها، والذي يحتاج إلى دربة ومكنة لغوية لا تتأتى إلا بالقراءة المتواصلة ولزمن يطول لأمراء وفطاحل البيان والفصاحة والأدب، يتوج ذلك كله وتصقله التجربة، وخوض معترك الحياة ولاسيما إذا منّ اللّه على صاحب الخواطر بالتلمذ على يد علماء عاملين ربانيين فضلاء.

وأحسب أن مؤلفنا د. عبد السلام مصطفى التريكي قد تحققت فيه تلك الشروط، وحاز الفنون المذكورة وملك زمامها؛ فانقاد له قلمه الذي وقعت له معه قصة عشق انعكست على خواطره، فتجول بنا بين بساتين المعرفة المتنوعة؛ ليزرع في قلوب قرائه زهورًا متنوعة يفوح أريجها على النفس؛ لتزكو بها، وترتقي في مدارج السالكين.

ومما لحظته في صياغة خواطر الكتاب استعمال المؤلف - وفقه اللَّه - للحوار أسلوبًا أساسًا في عرضها وصياغتها فلم تكن في صورة إملاء أو تَحَدٍّ، فسهل وُلُوجُها لقلب متلقيها.

كل خواطر الكتاب رائعة ومشوقة ومؤثرة في النفس، وهذا جعلني ألتهم الكتاب في ثلاث جلساتٍ قصيرة، إلا أن بعضها شدني وجذب انتباهي بقوة أكبر، وكان له أثر أشد عمقًا وتأثيرًا. وأول تلك الخواطر، خواطر المؤلف مع القرآن الكريم، يليها خواطر تربية النفس. ومما استوقفني مناجاته لقلمه في أكثر من موضع، وحواراته مع نفسه التي عاش معها تجاذبات انتهت بحسم الحوار لصالح النفس المطمئنة.

ومن أساليب المؤلف الممتعة، طرح الموضوع المستنكر في شكل تعجب، ومن ذلك تعجبه ممن يُلدغون من الجحر نفسه عشراتِ المرات.

وقد احتوى الكتاب على نصائح قيمة لصغار طلبة العلم في السلوك والمواقف في زمن كثر فيه الصراع الفكري والمذهبي؛ اختصارًا للمراحل التربوية، ومنعًا للحيرة، ودفعًا لمحاولات التغرير بهم، وزجهم في أَتُون معارك خاسرة في غير الميادين الحقيقية للدعوة.

وفي هذا المضمار جاءت نصيحته للداعية الناشئ: « لا تدعُ الناس للتحرر وفك القيود، وأنت لم تتحرر »! وفي هذا الإطار فرق المؤلف بين الأصالة والوكالة في تبني الأفكار.

وقد جالت في نفسي خواطر وأنا أقرأ خواطره، من ذلك قوله: « قل لي ماذا تكتب أقل لك: مَن أنت؟ » فقلت: « قل لي ماذا تكتب أقل لك: لمن قرأت؟ » وذلك أنني لمحت أثر قراءة المؤلف للعلامة ابن الجوزي الذي عاش مع كتابيه: صيد الخاطر، وتلبيس إبليس سنوات ذات العدد في الحل والترحال، كما يظهر تأثره واضحًا بأدباء عصرنا كالرافعي وعلي الطنطاوي. كما أنني لمحت الأثر التربوي لوالده الشيخ مصطفى التريكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من العلماء الذين شرفه اللَّه بالتتلمذ على أيديهم.

خواطر المؤلف تسري فيها الحياة لا مجرد ترف ذهني فتشعر بنبضاتها، خذ على سبيل المثال قوله: « أحيانًا تختار طريق الألم لتحفظ كرامتك ».

وتَميَّز طرح المؤلف للقضايا الحساسة بالإيجابية في الإقناع، نحو: حواره مع المِحنة والمِحَن، وكذا ما جاء بعده من حديث عن الموت، ومن ذلك أيضًا حديثه عن الإلحاد.

وأحيانًا يبرز التكوين العلمي للمؤلف فيطرح خواطره في شكل معادلات، تتكون المحصلة فيها من مجموع عوامل ينضاف بعضها إلى بعض من ذلك معادلة النجاح.

ومن الأساليب التي استعملها المؤلف - حفظه اللَّه - التحليل،

ومـن ذلك تعليله لقصر أثـر المـوعـظـة، وتقسيماته العلمية الرائعة للمؤرخين في آخـر صفحـات الكتاب، والتي تـدل من وجهـة نظري على ولوعـه بالتاريخ ودراسته له، وتأثره بأحداثه ومواعظه.

وكتبه

أ. د. جمال أحمد بشير بادي(*)

كوالالمبور في ٢٩/ ١٢/ ٢٠١٩م

(*) أ. د. جمال أحمد بشير بادي، بكالوريوس في العلوم التطبيقية، وتخصص جزئي في علم النفس من الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٨٢م.

- بكالوريوس في الدعوة وأصول الدين من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٩٨٦م.
- ماجستير ودكتوراه في أصول الدين من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٩٩٠م، ١٩٩٤م.
- دبلوم عالي في الدراسات الإنسانيـة والاجتماعية من الجامعـة الإسلاميـة العالمـية بماليزيا سنة ٢٠٠١م.
- أستاذ دكتـور بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية (تخصص الدعوة وأصول الدين) بالجامعـة الإسلاميـة العالميـة بماليزيا.
- أهم مؤلفاتـه: كتاب شرح الأربعين النوويـة، وكتاب التفكير الإبـداعي مـن منظور إسلامي.

كلمة المؤلف

الحمد للَّه رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمده ﷻ أن أتم علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وأمدنا بتوفيقه وإحسانه، وحبَّب إلينا العلم وأهله، ونوَّر قلوبنا بذكره، وأرشدنا إلى ما ينفعنا، وحثنا على نشر العلم وعظَّم لنا أجره، ونستعين به ﷻ على كل أمرنا، ونسأله سبحانه أن يرزقنا الإخلاص والقبول في هذا العمل، وأن يطرح فيه البركة، وأن ينفعنا به وذريتنا وأهلنا وأحبابنا وسائر خلقه ﷻ.

وبعد:

فهذا هو **الجزء الأول** من سلسلة كتابي الذي اخترت له اسم « **ثمرات السنين** » بعد الاستخارة والمشورة مع خاصة الأحباب، والذي جمعت فيه بعض خواطري التي كتبتها متفرقة خلال السبع سنوات الماضية، فمادة كُتُبي هي ثمرات توفيق اللَّه ﷻ، ثم رحلة أكثر من أربعين عامًا بين ملازمة والدي الشيخ مصطفى التريكي رحمه الله وعلماء من ليبيا أخذت عنهم وعلماء من خارج ليبيا، ثم قراءة بفضل اللَّه ﷻ استمرت لعقود حتى أثناء دراستي في كلية الطب البشري، فقرأت في مكتبة والدي العامرة رحمه الله وفي غيرها، وقد نضجت هذه الخواطر والأفكار في قلبي وفكري بعد الأربعين من عمري، وبعد تجارب طويلة لعل اللَّه ينفع بها ويتقبلها. وأعتقد أن لصحبتي اليومية الطويلة لوالدي خاصة، ثم لغيره من العلماء وما نتج عن ذلك من تأثري بسلوكهم دورًا مهمًّا فيما يبرق

من خواطري؛ بل يمكن اعتباره مصدرًا أساسًا في تشكلها ولمعانها.

ومن أقدار اللَّه ﷻ ومَنِّه وفضله وإحسانه، أنني كتبتُ كل خواطري ومقالاتي العلمية والفكرية والأدبية في أوقاتٍ متفرقة، وفي أحوال متباينة، ومواضيعَ متعددة: علمية شرعية، وفكرية، ووعظية، وتربوية، وأدبية... وكانت بفضلٍ من اللَّه وحده كلها ارتجالية وعفوية، ألهمني اللَّه بكتابتها لأسباب مختلفة.

ولم يكن يومًا في نيتي أن أجمعها أو أنشرها؛ بل كنت أكتبها تسلية لنفسي، وبدافع حب الكتابة والتعبير الذي راودني وملك فكري وعقلي، فقد شعرت بعد هذا العمر بانهمار للخواطر والأفكار كالغيث على قلبي، ولم أهتد إلى سبيلٍ لتنظيمها والاستفادة منها، حتى ألهمني اللَّه لتدوين الكثير منها بعد قراءتي لفقيه الأدباء وأديب الفقهاء، الشيخ العلَّامة الأريب علي الطنطاوي رحمه الله في كتابه الماتع « ذكريات » لعبارةٍ قويةٍ ومؤثرةٍ يحثُّ فيها القارئ على تدوين كل ما يخطر في باله من ذكريات وفوائد.. بشكلٍ يوميٍّ، سواء أراد نشرها أو الاحتفاظ بها لنفسه، لعله يجد فيها ما ينفع يومًا ما، وكانت عبارته هذه أحد أهم الأسباب التي حثتني على الكتابة والتدوين لخواطري بالرغم من عدم اكتراثي أو حرصي على نشرها في ذلك الحين.

ثم بدأت بعرض ما أكتبه على بعض الأحبة من علماء وطلاب علم ومثقفين...، فأحسنوا الظن بها، وحثني كثير منهم على جمعها ونشرها، وبالفعل بدأتُ بنشر مقتطفات منها على مواقع التواصل الاجتماعي؛ حيث توالت ردود القراء من مختلف البلدان من علماء

ومفكرين وأدباء باستحسان وإبداء للرأي بما تم نشره، الأمر الذي كان له كبير الأثر في نفسي بفضل اللَّه واستفدتُ من نُصحهم، تبعه اقتراح لأحد المشايخ الفضلاء بجمعها ونشرها، فداومت على الاستخارة، مع توالي النصائح بالجمع والنشر، حتى تبلورت الفكرة لدي واطمأن لها قلبي، مع إقراري بأنها بضاعة المقل وزاد الغريب، لكنَّ حسنَ الظن باللَّه ﷻ ثم حسنَ ظن المخلصين بأخيهم ورجاء الأجر والنفع والقبول أكرمني اللَّه بجمعها بمعونة أحد الرجال الأمناء جزاه اللَّه خيرًا.

وعندما تقرر جمعها كان أمامي أحد خيارين: إما نشرها عشوائيًّا في سلسلة كتب، أو تصنيفها حسب المادة إلى أبواب، فاخترتُ التصنيف مع صعوبته بعد الأخذ بمشورة زوجتي - سلمها اللَّه - قررتُ أن أجمعها وأصنفها وأُبوبها حسب مادة كل خاطرة ومقالة؛ ليسهل اطلاع وقراءة مختلف أصناف الناس لها، وكانت مرحلة التصنيف أطول مرحلة في عملي في هذا الكتاب، وقد أكرمني أخي الفاضل محمود صادق بمساعدتي في اختيار الخواطر والأبواب التي نشرتُها في هذا الجزء - تحت إشرافي - بارك اللَّه جهوده وجزاه اللَّه خيرًا.

ولعله من الجميل، ومن الاعتراف بالفضل أن أذكر أولَ من ساعدني في تنظيم الخواطر بعد جمعها، ابني الحبيب الغالي « مصطفى » وابنتي الحبيبة الصغرى « نعيمة » حيث قاما بأول مساعدة في تنظيم الخواطر على « ملف الورد »، - حفظهما اللَّه - كما قامت زوجتي وابنتاي بشرى وسارة - سلمهم اللَّه - بالمشاركة في اقتراح واختيار اسم الكتاب ودعمهم لمشروعي، جعلهم ربي جميعًا من الصالحين

المصلحين، ونفعهم بكتابي هذا وسائر كتبي.

وأخيرًا أشكر اللَّه ﷻ جلَّ في علاه؛ لتوفيقه وفضله ومَنِّه وإحسانه، ثم كل مَن ساهم ولو بالكلمة الطيبة والدعاء وحسن الظن، ولا أنسى في هذا المقام أن أشكر والدتي التي ساندتني بدعائها، والذي هو زادي وعدتي بعد اللَّه، كما أشكر زوجتي لدعمها المستمر، وتقديم المشورة لي، والشكر موصولٌ لأولادي وإخوتي وأخواتي جميعهم، وأصدقائي ومشايخي، ولكل من شاركني فرحتي بهذا الإصدار، وأخص بالشكر فضيلة الشيخ العالم الفاضل أ. د. جمال أحمد بشير بادي - حفظه اللَّه - الذي شرَّفني بالتقديم للكتاب، والمراجعة وإبداء النصح، وهو أحد علماء ليبيا الأجلاء وله تاريخ طويل في الدعوة والتعليم في ليبيا وخارجها يمتد لعقود، وأسأله ﷻ أن يتقبل مني هذا العمل المتواضع وأن يبارك فيه، وأن ينفع به جميع أحبتي وسائر المسلمين..

آمين.. آمين.. آمين..

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين..

وكتبه

عبد السلام مصطفى التريكي

في الثالث من شهر صفر ١٤٤١هـ

الموافق للثاني من أكتوبر ٢٠١٩م

موجز لسيرة المؤلف

د. عبد السلام مصطفى عبد السلام التريكي.

- ينحدر من مدينة مصراته بليبيا، من قبيلة الشحوم التي ينتهي نسبها الشريف إلى الحسن بن علي رضي الله عنهم وأرضاهم سبط النبي ﷺ، وكان مولده في مدينة طرابلس الغرب بليبيا.

- نشأ بفضل من الله ﷻ في بيت علم وفضل؛ فوالده هو العلَّامة الشيخ القاضي الفقيه، مصطفى عبد السلام التريكي رحمه الله، أحد أشهر علماء ليبيا في القرن الماضي وخريج الأزهر الشريف بمصر ١٩٥٦م، والذي شغل عدة مناصب دينية وتعليمية على مستوى ليبيا والعالم الإسلامي لسنوات طويلة، وخاصة في فترة حكم الملك إدريس رحمه الله.

- أراد له والده رحمه الله مع بعض إخوته منذ السنوات الأولى من حياته أن يسلك طريق طلب العلم الشرعي وحفظ القرآن الكريم، فحرص والده رحمه الله أن يبدأ ابنه عبد السلام بحفظ القرآن الكريم على أيدي علماء وحفاظ أجلاء في نهايات السبعينيات من القرن الماضي، فأدخله لأحد أهم وأفضل المدارس القرآنية في طرابلس - ليبيا « مدرسة محمد حجازي العنقودي القرآنية » المتخصصة في حفظ وكتابة القرآن الكريم برواية قالون عن نافع، وبضبط أبي عمرو الداني لمدة ست سنوات، والتي كان يُدَرِّس فيها مجموعة من كبار الحفاظ وعلماء القراءات في ليبيا، كالعلامة الشيخ شكري حمادي، والشيخ المبروك العماري وغيرهما كثر، وهما من أهم المراجع في كتابة المصحف الليبي بقراءة

قالون عن نافع.

- وأتـم اللَّه عليه حفظ كتابه في عمر ١١ عامًا، وأجيز بالرواية في نفس المدرسة، وكان يَدْرُسُ أيضًا في نفس المدرسة القرآنية المواد العامة كالحساب والعلوم وغيرها.

- وربما من اللطائف أنه انتسب إلى مدرسة نظامية أخرى عامة خلال الثلاث السنوات الأولى من التحاقه بالمدرسة القرآنية في فترة المساء بعد رجوعه من المدرسة القرآنية؛ فكان يداوم في الصباح في المدرسة القرآنية وفي المساء في المدرسة العامة؛ لتحصيل العلوم العامة بصورة مكثفة بجانب حفظ القرآن الكريم.

- وكان متفوقًا طيلة دراسته، وكان يراجع محفوظه من القرآن على والده يوميًّا، حتى أتم اللَّه عليه حفظه.

- ثم ألحقه والده بأكبر وأهم معهد ديني متخصص في العلوم الشرعية في طرابلس بليبيا « معهد مالك بن أنس الديني »، ويـتـبـع المعهدُ في مواده المناهجَ الشرعية بالأزهر الشريف بدولة مصر الشقيقة، وكان يُدَرِّسُ في المعهد علماء من ليبيا ومن مصر الأزهر الشريف. ودَرَسَ المؤلف في المعهد لمدة سنتين أصول ومبادئ الفقه المالكي، وأصول الفقه، والحديث، والتفسير، والقرآن، والنحو، والصرف، والبلاغة... وباقي العلوم الشريعة، وعلوم الآلة، مع دراسة يسيرة لباقي العلوم العامة، كالرياضيات والعلوم والكيمياء والفيزياء... وغيرها، وبفضل من اللَّه كان ترتيبه الأول مدة دراسته فيه، قبل أن تُلغَى المعاهد والمدارس الدينية في عهد النظام السابق سنة ١٩٨٦م. ومن شيوخه في المعهد: العلامة سلامة الغرياني، والعلامة عبد اللَّه

الشريف، وغيرهم كثير. وأخذ عنهما أصول الفقه المالكي، وأخذ عن غيرهم الكثير في باقي العلوم الشرعية وعلوم الآلة.

- ثم بعد إلغاء المعاهد الدينية التحق بمدرسة « علي حيدر الساعاتي » المشهورة في السنة الثالثة الإعدادية بطرابلس.

- ثم التحق بمدرسة « علي وريث الثانوية » المعروفة بطرابلس ودرس فيها ثلاث سنوات، وكان من المتفوقين، وتحصَّل على الشهادة الثانوية بتقدير ممتاز ونسبة عالية، أهلته لدخول كلية الطب البشري بجامعة طرابلس بليبيا.

- وأثناء دراسته بكلية الطب البشري استمر في دراسة العلوم الشرعية، وإكمال المشوار في ملازمة والده الشيخ مصطفى التريكي رحمه الله، الذي لازمه لأكثر من ثلاثة عقود، وكان والده أكثر مَن تأثر بهم المؤلف من العلماء الذين أخذ عنهم في ليبيا وخارجها، وعكف لفترات طويلة أيضًا على مكتبة والده العامرة والقراءة فيها وسماع الدروس، وكذلك لازم دروس العديد من العلماء في الحرمين الشريفين بمكة والمدينة لفترة من الزمن في النصف الأول من تسعينيات القرن الماضي، في مختلف العلوم الشرعية.

- وبعد حصوله على درجة البكالوريوس في الطب والجراحة العامة من جامعة طرابلس نهاية التسعينيات، سافر إلى دولة كندا لاستكمال دراسته الطبية، في تخصص الطب النووي في جامعة « ويسترن أونتاريو » لمدة خمس سنوات، ثم أتبعه بتخصصين دقيقين في مجال الطب النووي (تشخيص أمراض القلب، وتشخيص

الأورام بالأشعة النووية) لمدة أربع سنوات.

- وبفضل اللَّه تعالى لم ينقطع حتى في غربته عن مواصلة طلب العلم والكتابة، والتواصل مع العلماء وطلاب العلم من عدة دول عربية، والمذاكرة والنقاش معهم، وأقام بعض الحلق لتدريس بعض الكتب الشرعية والفقهية والدروس العامة في عدة مناسبات.

- وله العديد من المقالات الفقهية، والفكرية، والوعظية، والأدبية، ينشرها في مواقع التواصل الاجتماعي وبعض المنتديات العلمية. ويسعى لنشر الكثير منها في كتب يسَّـر اللَّه له ذلك، وتقبَّل منه.

* * *
* *
*

طريقة كتابتي للخواطر

هي أفكار ومشاعر وأحاسيس ... تبرق وتومض في قلبي وعقلي، في لحظة ما، ووَصْفُهَا ليس بالمستحيل ولا بالسهل؛ لأنها في الغالب هي نتيجة لخلفية لها أسبابها المركَّبة وروافدها الكثيرة، وبينها ترابط خفي، لا يشعر بها الإنسان إلا بعد زمن طويل وخاصة بعد الأربعين من العمر، وما لحظة خروج تلك الخواطر من عالم الباطن والفكر الخفي إلى العالم المحسوس، إلا كلحظة ولادة الطفل بعد رحلة خفية معقدة وطويلة في الظلمات الثلاث، ثم يكون توثيق تلك اللحظة في سجل الحياة حينما يسارع الكاتب إلى تدوين تلك الخواطر على بياض الأوراق؛ ليؤكد ميلاد فكرة وخبرة ومشاعر جديدة خاصة بكاتبها، كانت تتزاحم في العالم المنسي، وحان وقت قطافها.

فما يكتبه مُدَوِّنُ الخواطر ليس ولِيد اللحظة المجردة والموقف الخاص؛ بل هو نتيجة لتراكمات فكرية طويلة ومعقدة، شاء اللَّه أن تخرج بسبب موقف أو قراءة أو مشاهدة ليست بالضرورة تحدث للكاتب أو تتعلق به. والشرارة التي هي السبب الظاهر في خروج تلك الخواطر الداخلية إلى عالم النور، إما أن يكون بما يتعرض له الكاتب من مواقف لحظية، أو يتعرض له غيره، أو مواقف من الماضي يستدعيها الكاتب في تلك اللحظة؛ سواء أكانت تخصه أو تخص غيره لسبب ظاهر أو خفي، أو بسبب ما يقرأه أو يشاهده في تلك اللحظة... فتنبثق الومضة فيسارع إلى تدوينها، ويعبر عنها

بطريقته العفوية والارتجالية بأسلوبه الخاص والمميز - بتوفيق من اللَّه وحده - لإيصال فكرة معينة يكون فيها فائدة وعظية، أو أدبية، أو علمية، أو تربوية، أو إصلاحية ... وطريقة كتابتها وتدوينها هو فن وعلم لوحده يتميز به كل كاتب عن غيره، يرجع إلى أسباب وخلفيات متداخلة: علمية، واجتماعية، وتربوية، وفكرية، وعمرية، وبيئية ... ووراء كل ذلك توفيق كامل وخالص من اللَّه ﷻ وتعالى سبحانه.

فعادة تكون لكل كاتب طريقته الخاصة التي تتكون بعد زمن طويل كنتيجة لثقافات متراكمة على مدى عقود، تنشأ من مطالعات واسعة، ومخالطات لأرباب الثقافات، من علماء، ومفكرين، وطلاب علم، وخبرة طويلة؛ لدمج كل ذلك وتلخيصه في أسطر قليلة.

ولكي تكون لتلك الخواطر هدفًا، يجب أن يحمل الكاتب هَمًّا مُعَيّنًا يُسَخِّرُ له كل أفكاره وإمكانياته، وأهم من ذلك كله أن يسأل ربه ﷻ التوفيق والإخلاص؛ ليبارك له في القليل، وليَتَعَدَّى نفعها إلى غيره.

ومع الزمن وطول الخبرة في الكتابة تتولد لدى كاتب الخواطر مَلَكَةٌ خاصة في الاستفادة من كل ما يحيط به مما يحدث له أو لغيره، فمن القُصُورِ أن يظن بعض الناس أن الخواطر التي يكتبها الكاتب إنما هي فقط مواقف حدثت له وحده أو انعكاسات لحياته؛ بل هي تجارب متعددة وربما طويلة يلخصها في وريقات بتوفيق من اللَّه وحده، وينشرها في رسالة من أسطر قد يقصد بها نُصْحَ نفسه وتهذيبها أو غيره، لتكون نورًا يُضِيءُ له ولغيره الطريق.

وكم عَدَلْتُ عن كتابة فكرة معينة خَطَرَتْ لي وألهمني اللّٰه بها - مع شُعوري بأهميتها - لمجرد أنني وجدتُ غيري من كتب حولها في نفس اليوم أو قبله، أو نَشَرَهَا في نفس الفترة وقَدَرًا اطَّـلَعتُ عليها في نفس اليوم، خشيةَ أن يُقال: سَرق مني الفكرة أو كتبها من وحي قلمي... وكذلك فإنّ مَن كتب حول نفس الفكرة قد كفاني وسَدَّ الثغرة التي كنت أعتقد خلوّها. مع أنّي كنت سأكتبها بأسلوبي وقلمي المختلف، وبنظرة ربما مختلفة، ولكنّي أخشى وأرفض مجرد الشعور أنّي أكتب ما يُشابه ما كتبه غيري، وليس هذا ادِّعَاء للتَّـفَـرُّدِ والبراعة؛ بل كثيرًا ما ظننتُ أنّ غيري قد نقلها بأسلوب أحسن مني، وكذلك ابتعدتُ بذلك عن شبهة السرقة والمحاكاة، مع أنّ هذا في عُرف العلم ليس بتلك التهمة إذا كَـتَـبْـتُه بقلمي ونَـفَسِي، وهو توارد خواطرَ كثيرًا ما يحدث بين الـبـشر. وإذا كتب اللّٰه أن تأتيني الفكرة مرة أخرى، فلربما أكتبها بِفِكر ونَفَسٍ غير الذي داهمني عند أول النَّظَرِ.

* * *
* *
*

خواطر مع القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾ [هود: ١٠٢ - ١٠٤].

آية مرعبة وشديدة لو كانت لنا قلوب؟!!!

لا يستطيع أحد الحرب مع اللّه، ولا يصبر على عذابه أحد، وتأخيره لمعاقبة الظالمين هو باب للرحمة لو رجعوا وتابوا، وباب للعذاب الأليم لو استمروا في ضلالهم وما أنابوا. كلام تقشعر له الجلود، وتتصدع له الأفئدة.

* * *

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١].

الانتكاسة بعد الهداية من أشدّ بلايا هذه الدنيا، فمن انقلب بعد أن أرشده اللّه إلى طريق الهداية، فالغالب أن يصبح حاله أسوأ مِمّا كان عليه قبل الهداية، وهذا يمكن تعميمه على من نصرهم اللّه على الظلم، ثم تهاونوا وتفرقوا وخَدَعَهُم عدوهم الظالم بالتزييف والمطامع.

* * *

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

آية يجب أن يتوقف عندها كل عالم وطالب علم. كثير من الناس يظنّ أن من طلب العلم فإنّه معصوم من الانحراف والزيغ والفتن، وهذا مفهوم خاطئ وغير صحيح، فما تبيّنه هذه الآية أنّ الإنسان قد يطلب العلم ويزيغ، فالعلم وحده لا يحميك؛ بل العلم لا بد أن يرتبط بأمور قلبية، وأمور عملية تعبدية: من أعمال القلوب والجوارح وحقوق العباد...، فمن جعل الهوى - من شبهات وشهوات - هو من يُسيِّره ويقوده فقد ضلَّ وانحرف، وعاقبته طَبْعُ اللَّه على قلبه؛ فيصبح قلبه لا يشعر ولا يحسّ بالحقّ، وسمعه لا يقبله ولا يفهمه، وبصره لا يدرك مراد اللَّه ورسوله مما يتعلمه...، فكأنّه أعمى وأصم وميت... ولقد سمعت أحد علماء بلاد شنقيط يقول: كان أحد العلماء في مكة مِمن يُعلِّمُ الناس قد خُتم له بسوء، فاحتار الناس واستنكروا...، ولكن خاصته من الطلاب علموا أنه في آخر حياته كان يُطيل النظر إلى النساء غير المحارم في الحَرَم...، فالحذر من أن تُفسد علمك بفساد نيتك، أو قلبك، أو عملك، أو أن تُصر على معصية وخاصة في الخفاء، أو أن تتعرض لحقوق العباد من: غيبة، ونميمة، وغلو، وأكل أموالهم بالباطل...، فالعلم لا بد أن يكون قرينَ التربية.

* * *

قال تعالى: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

آية، تتلمس فيها رحمة اللَّه ورضوانه، وفضله وجوده، وعظيم

امتنانه على عباده. آية تتحسّس فيها جيلًا مباركًا، نال الرضوان، وسابق إلى الجنان، ورافق خير الأنام ﷺ. آية تُبصر فيها أجيالًا متعاقبة، من أئمة الهدى والرضوان، مِمن ساروا على هدي النبي الأمي عليه أفضل الصلاة والسلام، وعلى هدي الصحب الكرام.

* * *

قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣، ٢٤].

ليس هناك أبلغُ من هذه الآيات في وصف حال المؤمنين الصادقين الذين نصروا اللَّه ورسوله وأهلَ الحق، ووصف حال المنافقين، فتأملها جيدًا وقارنها بما حولك فستجد راحة عجيبة !!

* * *

قال تعالى: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف: ٨٢].

آية فيها كلُّ الإعجاز؛ إنها منهج رباني يحتاج كُتبًا لشرحه. كلما تذكرتُها تذكرتُ والدي الشيخ مصطفى التريكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد تحققت فيه. وكلما تذكرتها زاد الحِمل عَلي؛ لأنَّها آية تحتاج لمراقبة وخشية وعمل طويل. وما همت نفسي بمعصية إلا تذكرت هذه الآية، وتذكرت أولادي، وشعرت بخطورة المعصية، وأن الجزاء من جنس العمل.

* * *

قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ [الكهف: ٥٨].

واللَّه ثم واللَّه ثم واللَّه إننا لننطق بكلام ونعمل أعمالًا في كلِّ يوم لو حاسبَنا اللَّه عليها لهلكنا، ولحبطت أعمالنا ولخسرنا الدنيا والآخرة، ولكننا لا نحاسب أنفسنا حق المحاسبة. وهذه الآية خير دليل على فضل اللَّه ﷻ ورحمته وحلمه وعفوه، فلا يمكن لبشر أن يصبر علينا ويحلم علينا كحلم ربنا ﷻ ورحمته، وللَّه المثل الأعلى.

* * *

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤].

هذه آية مرعبة لكلِّ غافل وظالم ومتكبر، أن اللَّه قد يفتح لك أبوابًا للخير، وتنغمس فيها حتى تظن أنك في نعيم ورضا، وأنك قد نجوت، وهذا كما قال العلماء: أشد أنواع الاستدراج والعقوبة أن تنسى أنك مُعاقب مع ظلمك وعدوانك بطول الأمد، وهذا والعياذ باللَّه من أخطر ما يُعاقَبُ به الإنسان أن يُحجَب عن رحمة اللَّه، ويُفتح له باب ظاهره الخير ومن قِبَله العذاب، ثم فجأة!! يأخذك أخذ عزيز مقتدر.

* * *

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

آية تختصر مسيرة الكثير ممن اختاروا طريقًا وحسبوه هو الحق،

واتبعوا أهواءهم التي اختارت لهم الطريق ولم يتبينوا صواب تلك المسالك، وانجرفوا في دروب مختلفة منحرفة زينها لهم الشيطان من: استحلال للدماء والأعراض والأموال انتصارًا لأهوائهم، ولبس عليهم الشيطان بأنه طريق اللَّه وجنته، فما أشد حسرتهم عندما يُقضى فيما ظنوه حقًّا، ثم يرون أمامهم الخسران والحسرات.

* * *

قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧].

لو كان الحافز والمحرِّك لدخول الجنة هو أنّ اللَّه ﷻ سينزع الغل والحقد بين البشر في الجنة لكفى به مطلبًا وغاية لدخولها!! فكيف إذا كانت رؤية اللَّه ﷻ ثم رؤية نبيه ﷺ وصحبه الكرام والأئمة العظام ومن سار على هديهم؟!!

وحَسْبُ الغِلِّ أنّه أول ما عُصِي به اللَّه ﷻ في الدنيا، بين ابني آدم عليه السلام، ولذلك هو سبب رئيس للشر، والظلم، والقتل، والفساد في الأرض إلى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها.

فمِما يُنعم به اللَّه ﷻ على عباده المؤمنين وَيُزَيِّن به حياتهم في الجنة أن ينزع الغل من صدورهم فَيَحْيَوْن حياة النقاء والصفاء، ويزول الكدر والهمُّ والشر.

* * *

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴾ [الفرقان: ٧٧].

من أعظم وأشرف العبادات الدعاء؛ فهو الحبل المتين، والصلة الوثيقة بين العبد وربه، وهو عز المؤمن، وملاد الحيارى، والمَفْزَع عند الكربات، والراحة عند النَّصَب، والنور الذي به نبصر، والأمل إذا انقطعت الأسباب، فلا يُتصَور حياة لمؤمن بدون الدعاء، ولا يطيب عيش بدونه، ولا يحلو من غيره.

هو زاد المتقين وعدتهم، ونورهم، وراحتهم، وأنسهم.

* * *

قال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

آية، تجعلك تعيد النظر في حياتك كل يوم!

قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾، يقول: وظهر لهم يومئذٍ من أمر اللَّه وعذابه الذي كان أعده لهم ما لم يكونوا قبل ذلك يحتسبون أنه أعده لهم.

* * *

قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

الأخلاء في الدنيا المتحابون فيها يوم تأتيهم الساعة يُعادي بعضهم بعضًا، ويجدون الأمور التي كانوا بسببها أخلاء هي أسباب للعذاب، فصاروا أعداء ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فإنهم أخلاء في الدنيا والآخرة صدقًا، فهناك أُناس نحسَبُهم أصدقاء وخلّانًا، ولكننا نكتشف مع الوقت أنَّ قُربهم كالجرَب يُعدي ويُمْرِض؛ لأنَّنا اخترناهم لثَنائِهم علينا، أو لمدحهم لنا، أو لمتعة زائلة، وقَبِلْنا سوء أخلاقهم لظاهر

اغتررنا به، ولكن أصابتنا عدواهم، وانتقل بعضُ المرض أو كلُّه إلينا وصَعُبَ بعدها العلاج!

* * *
* *
*

الإخلاص والخبيئة

للإخلاص نور ينير دُروب القلب، وينفذ من ذلك النور حكمةٌ تتضح بها معالم الطريق.

* * *

الإخلاص كلمة يدّعيها البعض، ويتهم غيره بفقدانها، وقد انقطعت أعناق الإبل في تحصيلها.

* * *

تستطيع أن تُقنع كل الناس أنّك صادق ومخلص، لكنك لا تستطيع ذلك مع رب العالمين ما لم تكن حقًّا ذلك الموصوف، فلا تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

* * *

أرجو إخلاص مُسلمي العجم، وعلم مُسلمي العرب.

* * *

التقوى ليس ما تظهره للناس من قول أو عمل وتُمدح عليه؛ بل هو ما تُخفيه عن أعين الناس، وتُرضِي به ربّ الأرض والسموات، وتجد لذّته في الخلوات.

* * *

هل يُحبّك اللَّه؟!!

انظر لحالك في الخلوات، فما تُظهره للناس لا يدل على تقواك، ولكن ما تُخفيه هو الحقيقة التي تعكس خشيتك.

أين الخبيئة؟!!

الحقيقة أنّ هذا الأمر مِمّا يجب أن يشغلنا وأن يستحوذ على أكثر حياتنا وتفكيرنا، فقد ابتُلينا بسبب شبكات التواصل الاجتماعي بأمور كثيرة لا نحسب عواقبها، ولا نُدرك أخطاءنا فيها، فأصبح التشهير بأعمال الخير الشخصية بارزًا بشكل غريب، اختلطت فيه الأمور، وانقلبت فيه الحقائق، فقد أدركنا جيلًا يحرص على إخفاء أعماله حتى على زوجته وأولاده، ويحزن إذا اطلع الناس على أعماله، من خير وبرّ وصدقات، وهذا أصل في ديننا، ولا يتنافى مع الحاجة لإعلان أو دعوة لأعمال الخير، ولكن المُراد أنّ تفاخرَ الناس وإسرافَهم في ذكر ونشر كل ما يفعلونه بحجج واهية تُفسد أحيانًا أعمالهم، وكلام وقصص السلف في هذا لا تُحصَى، ولعلّ من أشدها وأكثرها أثرًا في حياتي ما قرأته قديمًا: أنّ أحد العلماء رأى رجلًا يبكي ويقرأ القرآن أمام الناس، فقال له: استر عورتك!!!!

* * *

لو مدحك كل البشر فهو مدح بما ظهر لهم، ولكن حقيقة نفسك هو ما تُخفيه عن الناس ولا يطَّلع عليه إلا اللَّه.

* * *

كُن خفيًّا تقيًّا نقيًّا.

* * *

أخفوا عباداتكم ما استطعتم، فهو أصلح للنية، وأعظم لذة، وأرجى للقبول.

مفتونٌ من ظنّ صلاح نَفْسِه في ما يمدحه به الناس في العلن، إنما حقيقة نفسك هو ما تخفيه عن الناس في السر.

* * *
* *
*

التوبة والرجوع إلى اللّه

قالت لي ذنوبي يومًا وهي ظافرة ومنتشية، وقد أثقلني حِملُها وأوهنَنِي أثرها: ماذا أعددتَ لي؟

قلت: أعددتُ لكِ - بإذن اللّه - رحمةَ ربٍّ غفورٍ ورجاءً وأملًا، وذكرًا واستغفارًا، وقرآنًا يُتلى بُكرةً وأصيلًا، وسُجودًا تَفِرِّين معه، فلا تجدين إلى غير اللّه ملجأً.

* * *

أنا بشرٌ، إذًا أنا أُخطئ، إذًا أنا أتوب.

* * *

من تأمل في حاله وواقعه، وحال غيره مع الذنوب، وعَـرَضَها على الكتاب والسُّنة وحال السلف الصالحين، أدرك أنّه لا يَقهَرُ الشيطان شيء مثل تكرار التوبة والإنابة إلى اللّه ﷻ مهما عَظُمت ذنوبه ومهما تكاثرت، وأن اللّه ﷻ لا يُحبُّ شيئًا كحُبه لعبده الذي لا يستعظم ذنبًا أمام عفوه ﷻ ورحمته، وأنّه لا ملجأ من اللّه إلا إليه.

فتكرار التوبة هو دأبُ الصالحين وأولياء اللّه المُتقين، وفي ذلك نِعَم تُنزَّل على التائب لا يعلمها إلا اللّه، وكلما زادت توبته زاد يأس الشيطان منه.

* * *

الفضيحة؟!!

ليست الفضيحة أن تُكشَف بعض ذنوبك للخلق، فكم من عاصٍ

كان ظُهور ذُنوبه سببًا في صدق توبته وأَوْبته؛ بل صار بعضهم من أولياء اللَّه، فكم من عبد قد ستره اللَّه وستر ذنوبه عن الخلق، فكان ذلك سببًا لتماديه في الذنوب واغتراره بحالِ سِترِه، فأُورِدَ المُهلكات.

ولكن الفضيحة أن يطّلع اللَّه على حالك في الخفاء، ويرى إصرارًا منك على الذنوب، وجُرأةً على علّام الغيوب، وقسوة في الفؤاد حتى جعلته كالكوز المقلوب، فيُكشف عنك غطاء السِّتر، ويُحجب عن القلب آثار النعمة والفضل، حينها تكون الفضيحة الكُبرى، ويرى الناس العيوب بادية ظاهرة، ولو كان الجسد مُتعلقًا بأستار الكعبة.

* * *

قد يستر اللَّه ذنوبك وعيوبك لزمن طويل، حتى إذا جاهرت بمعصيته، وتحدّيته في جبروته، واستهنت بعظمته، سَلّط عليك أحد ذنوبك، وفضحك أمام خلقه، فكشف ذاك الذنب ما وراءه، فأذلّك الجبّار وقهرك وأبعدك عن رحمته، وكشف عنك حجاب سِتره، وأبعدك عن نَوَال قُربه، فأنّى لك السعادة!!!

* * *

أي المِقيَاسَين تُحب أن يكون لك؟!!

أنت في أعين الناس - ولو كان أقربهم لك - مُقَيَّمٌ بآخر ذنب قد ارتكبته من قول أو عمل؛ بل لربما لم يُنسَ لك ذاك الذنب مهما تُبت ومهما عملت من خير بعده، ويظل هو المقياس عندهم لدِينِكَ وخُلقك.

بينما في جنب اللَّه ﷻ الرحيم الغفور الكريم هناك مقياس آخر،

هو آخر توبة نصوحة صادقة عملتها بعد ذنبك، مهما كانت ذنوبك قبلها، ما دُمت تصرُّ على التوبة بصدق وعزم.

فأي المقياسين تُحب أن يكون لك؟!

* * *

قالت لي الأحزان يومًا؟!!

قالت لي الأحزان يومًا وهي شامتة: لقد أوْهَنتُك وأَضْعَفتُك، وأخذتُ شبابك وأسْهرتُك الليالي، وقَضَضْتُ مضجعك، وشمَّتُّ فيك عدوك، وأحزنتُ أحِبّتك، وأذْهبتُ أحلامك، وشيَّبتُ رأسك، فهل يا تُرى ما زلتَ تأمل في الحياة وترتجي؟!

فرفعت رأسي ونظرتُ في عينَي الأحزان ورأسي مُثقل بكل ما وصفَت، وكادت نفسي تخور وتسير في ركاب الأحزان واهنة، ثم تراءىٰ لي نورٌ أضاء قلبي، وحمل لي رسالةً سطّر فيها كلامًا أعاد لي عزمي، وتبدّدت به كل همومي؛ بل وانقلبت به أحزاني أفراحًا، وعَظُم بما قرأت رجائي في ربّي، ووجدتُ بين كلِّ سطر وسطر ما يجعل كلَّ ما وصفَتْه أحزاني زادًا يُبلغني إلى ربّي؛ بل قرأت بين حُروفها أنّ اللَّه سيجعل كل ذلك رِفعةً وعزةً يحلم بها خَصمي، وأجمل ما قرأت في الرسالة التي حملها النور إلى قلبي: أنّ اللَّه قد مَسح كل ذنوبي بدُموعي التي سالت على خَدي يوم كُنت أُناجيه والألم يسري في جسدي، وأنّ اللَّه قد أعدّ لي خيرًا ما كنت لأناله ولو أفنيت عُمري في العملِ.

* * *

القرآن والذكر والصلاة

يا حامل القرآن!

لا شك أنّ حامل القرآن قد حباه اللّه وخصّه بأعظم أمانة وأكبر شرف يناله المسلم في هذه الحياة الدنيا، وما أكرمك اللَّه به إلا ليختبرك ويمتحنك، فهل تُقدّر هذه النعمة وتَصرفها فيما يُحب اللَّه؟! فليست العبرة بحفظ القرآن فقط؛ بل بالتخلق بخُلق القرآن، والدعوة لمبادئ وفضائل القرآن؛ ليكون القرآن حجة لك لا عليك، فلا يَصْلُحُ لحامل القرآن أن يكون كذابًا.

ولا يَصْلُحُ لحامل القرآن أن يكون سفيهًا...

ولا يَصْلُحُ لحامل القرآن أن يكون نمّامًا.

ولا يَصْلُحُ لحامل القرآن أن يكون فاحشًا في قوله.

ولا يَصْلُحُ لحامل القرآن أن يكون حسُودًا حقُودًا.

ولا يَصْلُحُ لحامل القرآن أن يكون شَتّامًا.

ولا يَصْلُحُ لحامل القرآن أن يكون غليظًا...

* * *

ولا زال حامل القرآن تعلوه في صدره هيبة بين الناس ما جعل للقرآن هيبة في قلبه وجوارحه وسلوكه.

* * *

حَرِيٌّ بأهل القرآن أن يَتفقّهوا به، وأن يُدركوا معاني ألفاظه

ومدلُولاتها، وأن يَطّلعوا على تأويله ومُناسبات تَنزيله، وأن يفهموا مُراد اللَّه بكلامه، وأن يُعظّموا حُروفه وألفاظه، وألَّا يشتروا بـه متاع الدنيا، وألَّا يُنزلوه منازل الظالمين والمُجرمين، وأن يُعظّموا شعائره وأوامره، وأن يَستدل الناس عليهم بأخلاقهم قبل أن يسمعوا منهم تلاوته..

* * *

ولا زال حامل القرآن في صدره، يرتقي به سُلّم المجد، ويَعْمُر به مجالس الذكر، ويُعطّر به القلوب، ويمسح به الأحزان، وتَشْرَئِبُّ لتلاوته النـفوس، وتحنو لسمـاعـه الآذان، فـيكتبه اللَّـه عنـده فـي الذاكرين، ويُنزله منازل المُتقين والصِّدّيقين، ويُكرمه بمحبته، ويُسبغ عليه رِضوانه، فلا يشقى ما دام يعيش بالقرآن ومع القرآن.

* * *

ثلاث من مُتع الدنيا لا تُفارقهن في يومك، في حِلّك وتِـرْحالك: وِردُك من القرآن، ووِردُك من الأذكار، وكتابٌ تقرأ فيه وتَستزيد.

* * *

ثلاثٌ لا أرى مُسلمًا يَسْعدُ بدونهن: صلاة، ودعاء، ومُلازمة الاستغفار.

* * *

لا أتصور مسلمًا تَصلح حياته بدون صلاة؟!! ولا أتصور من يُريد اللَّه والدار الآخرة يُقصّر في الصلاة؟!!

* * *

الصلاةَ يا أمةَ الصلاةِ!

من عجيب ما سمعت، ما ذكره بعض الإخوة من بلاد النيجر في

لقاء مُسجل: أنّ أهل النيجر - وهم من أفقر شعوب الأرض - لا تكاد تجد فيهم من لا يُصلي!! وإذا مات أحدهم يسألون إمام المسجد عنه في حيِّه: إن كان يصلي أم لا؟! فإن كان لا يُصَلّي فلا يُصَلِّي عليه إمام المسجد، وذكروا أنّ كل مسلم يحمل إبريقه في السفر حتّى إذا أدركته الصلاة توضأ وصلّى! وإذا جاءهم الدُّعاة وأهل الإغاثة وسألوهم حاجتهم، فيطلبون بناء مسجد حتّى لو كانوا في أشد الحاجة إلى الماء! فماذا عسانا نقول نحن من نَدَّعِي أننا أهل اللغة والقرآن؟

* * *

من عاش حينًا من الدهر في الدنيا، وذاق حُلْوها ومُرّها، وتمتع بفرحها ومرحها، وقاسى آلامها ونكدها، وجرّب خيرها وشرها، وخالط خيارها وشرارها علم أنّه لا سعادة ولا عزة ولا متعة ولا لذة تعدل القرب من خالقها وربّها ﷻ. فكل اللذّات فيها تَفْنى بعد حدوثها، ولكن لذة القُرب من ربّها سبحانه لا تفنى ولا تتبدّل. فأيّ نعيم في الدنيا أعظم من أن يُقرّبك ربُّك سبحانه إليه، وأيّ لذّة تعدل الخُضوع والذُّل بين يديه جلّ وعلا شأنه. فمن جرّب القُرب في الصلاة، واستشعر العِزَّة في الأذان، والرِّفعة في تكبيرة الإحرام، والسكينة في تلاوة القرآن، ورِقَّة القلب في مُناجاة الرحمٰن في الركوع والسُّجود وسائر الأركان، والشوق والمحبة في الدعاء في سائر الأحيان، عرف معنى ما ذكرتُ وأكثر مِمّا تصفه الأقلام.

* * *

ليس الاستغفار مجرد كلمات، إنّما الاستغفار استحضارٌ لعِظَمِ

الذنوب وكثرتها، واستحضارٌ لعَظَمَة اللَّه وعفوه.

* * *

هناك امتزاج بين الابتلاء والذكر كامتزاج الروح والجسد، فمتى اشتغل صاحب البلاء بالذكر وأدْمَنَهُ ارتفع بذكره وتسامى، فهو يرتقي بالذكر في درجات القُرب حتّى يختلط بلحمه ودمه، فيصل لِلذّة الأُنس بِذِكْرِ ربّه ومحبوبه، فما يَبرحُ البلاء والكَدرُ بصاحبه حتى يَسْتحِيل إلى ماء عذب يُنعش القلب ويغذيه، وزادٍ يَحُثّه على المَسير حتى يصل به إلى المُبتغى والرّضوان في دار الفرح والسرور والحُبور.

* * *

مهما نِلتَ من مَديح الناس فلن تَنال الأُنس بهم، فالأُنس لا يُنال إلا بِذكر اللَّه ومُناجاته سبحانه.

* * *

واللَّه لولا اللَّه ثم الصّلاة والدعاء ما صَبرنا على ظُلم العباد وبلاء الدنيا.

* * *
* *
*

أعمال القلوب

صفاء القلوب مَرتبة عالية لا يُدركها إلا الصادقون.

* * *

إذا تعلقْتَ بالبشر أذَلُّوكَ وأهَانُوكَ، وإذا تَعلّقتَ بربِّ البشر أَكْرمُوك.

* * *

جناحا السلامة!!!

الشعور بأنّك تحت رحمة اللَّه يَبعثُ على الأمل والطُّمأنينة.

والشعور بأنّ اللَّه شديد العقاب يَكْبحُ مِن اسْتِرْسَالِ النفس في الذنب خاصّة في السر، وكما قِيل: المؤمن بين جناحي السلامة: **الخوف والرجاء**. ولا أجملَ من يقين العبد بأنه تحت رحمة اللَّه وواسع مغفرته.

* * *

من عَلِم سعة رحمة اللَّه استحى أن يعصيه، وإن غفل وعصاه بَادَر بالندم والتوبة.

* * *

الإحساس بالعبودية أمرٌ ضروري لبني آدم، فمنهم من يطلب العبودية للَّه خالقه فيرتفع وتسمو نفسه، فلا ترضى بأن يستعبدها غير خالقها، ومنهم من يطلب العبودية لبشر مثله فيسقط، وتُذَل وتُهَان نفسه فلا ترتاح إلا إذا أمعن في ذُلّها لسَيّدها.

* * *

يُمكنك أن تُقنع الكثيرين بأنّك صادق ولو لِلحظات، لكنّك من الصعب أن تُقنع نفسك بذلك إذا لم تكن كذلك حقيقة!!!

* * *

مَن وَفّقه اللَّه في امتحان أو في عمل أو في أمرٍ ما، ولم يتواضع للَّـه ويَنسب الـفـضل كلَّه له فليخْشَ على نفسه الاستدراج والعيـاذ باللَّه.

* * *

لست أخاف من ذُنوب عرفها الناس كخوفي من ذنوب سترها اللَّه ونسيتُها.

* * *

من اشتغل بعيوبه شغل اللَّه قلبه عن عيوب الناس، ورقَّ قلبه، ورفع ذِكره، وآتاه الحكمة.

* * *

مما يُـرَقّق القلب أن ترى حُبّ الكثير من العجم للدِّين وحُبّهم للنبي ﷺ مع بساطة فهمهم، بالرغم من بعض الأخطاء نتيجة لقلّة العلم باللغة والدين، ولكن حُبّهم وتمسكهم بما يعلمون وتعظيمهم للدِّين عجيب.

* * *

ليس لي قول أو عمل أشير إليه، ولكن من أكثر ما أرجو به رحمة اللَّه ﷻ - بعد نعمة الإسلام وحبّ اللَّه ورسوله ورضا الوالدين - هو حبّ الصحابة وتعظيمهم، وأُشْهِدُ اللَّه أنّ حُبهم ملأ قلبي وسكن جوارحي، وتمكّن من فكري وعقلي، والفضل يعود للَّه ﷻ ثم لوالدي

الشيخ مصطفى التريكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* * *

خداع لا لذة فيه، إذا أَحَبَّك بعض الناس ولم يُحبك اللَّه سبحانه.

* * *

قد تنطق بكلام لا يُحبه اللَّه ولا تُحبه لمرض أو لسوء رفقة أو...، ثم تَنكسر للَّه وتَنْطرحُ بين يديه وترجو عفوه وستره، فيراك الناس مُنحرفًا مُنتكسًا، ويراك أرحم الراحمين توَّابًا أوّابًا لاجئًا لرحمته وتخشى عذابه.

* * *

لم أرَ أعظم ولا أجمل صفةً من « صفاء القلوب » بين العلماء وطلاب العلم الشرعي، ومهما بلغ العالم من درجة في العلم، فلن يُميّزه عِلمه؛ بل يُميّزه تواضعه، وصفاء قلبه على إخوانه من العلماء وطلبة العلم خاصة، ثم على عامة الخلق، فهو المِحَكُّ العملي، ودليل صدقهم، وأثر العلم على سلوكهم، ولا بد أن تظهر آثار الصفاء على أعمالهم وأقوالهم.

* * *
* *
*

أمراض القلوب

من نصّب نفسه حَكمًا على نوايا العباد وأعمالهم؛ فيجزُم بصلاح هذا وطَلَاحِ ذاك، فقد تطاول على ما اختص به اللَّه ﷻ نفسه، واعلم أنّه قد عجز عن تِعداد وتقييم عُيوبه.

* * *

لا يُمكن لصاحب هِمّة إلى الآخرة أن يجد وقتًا ليحقِد أو يتتبّع عثرات المسلمين.

ولا يمكن لصاحب رسالة واضحة أن يجد وقتًا للقِيل والقَال والاهتمام بالتفاهات!

ولا يمكن لصاحب عِلم أن يُضيع عمره في المُناكفات والصِّراعات!

فكل دقيقة لا تَصرفُها في غاية تُرضي ربك فهي حسرة وندامة.

* * *

يا مَن تسبُّ وتشتم!!

- إذا كنت لا تستطيع أن تُساهم في البناء، فلا تُساهم في الهدم!
- إذا كنت لا تستطيع أن تُساهم في نشر العلم، فلا تُساهم في نشر الجهل!
- إذا كنت لا تستطيع أن تُساهم في تأليف القلوب، فلا تُساهم في تنفير القلوب!
- إذا كنت لا تستطيع أن تُساهم في نشر الفضيلة، فلا تُساهم في

نشر الرذيلة!

* * *

إنّ الإعجاب بما تُقدمه أو تفعله من أعمال البر: من صدقة، أو كفالة يتيم، أو مساعدة محتاج، والرغبة والطرب بمدح الناس، هو مُؤشر خطير على دخول الفساد في النية، وطلب الشهرة، وقد يُحبط عملك، ويُعجل بعقوبتك.

* * *

كيف تسخر من غيرك وتزدَريه، وأنت لا تعلم إلى أين تصير، إلى جنة ونعيم أم إلى نار وجحيم؟!!!

* * *

الكِبر داء لا يُبقي جميلًا في البشر..

ضدّان لا يجتمعان: علمٌ باللّه ورسوله، وتَكبرٌ على عباد اللّه.

* * *

المُتكبر: هو شخص لا يعرف حقيقة نفسه، ولم يُجرّب لذّة التواضع.

* * *

الانشغال بتصنيف الناس مرض عميق، سببه خبل فكري ومرض نفسي.

* * *

الحسد داء الأدواء!!

هذا الدّاء الخفيُّ هو أحد الأسباب الرئيسة لكثير من الخلافات

والشقاقات والنزاعات التي تمر بنا، وتنشأ صغيرة ثم تكبر!..

هو داءٌ قد استحكم في النفوس ولا يَعْصِم منه إلا اللَّه ﷻ..

هو داءٌ يحرق القلوب ويحرق كل ما حولها، ويهدم بُنيان صاحبه ويهدم بُنيان الأمم، إذا نشأ كان صغيرًا، ثم يكبر ويستفحل حتّى يصعُب تداركه، فما أقبحه إذا كان في قلبٍ ظاهره العلم والدِّين، فعندها يصعب التخلص منه؛ لأنّه يُلبِس صاحبه لباس الناصح الواعظ، ولكنّه لا بد أن يطفح ويخرج للسطح يومًا ما، ومَن يأمن مِن الحسد فقد خدع نفسه، ولكن من عرفه وسعى لتجنبه وجاهد نفسه ولجأ إلى ربّه وأخذ بالأسباب فيُرجى أن يعصمه ربّه ﷻ منه.

* * *

لماذا الحسد؟!

لِمَ تحسد من أنعم اللَّه عليه بنعمة؟!! ألستَ بذلك تعترض على اللَّه ﷻ، وتقول بلسان حالك: لِمَ يا ربّ خصصته بتلك النعمة وحرمتني؟!

لِمَ تحسد من أنعم اللَّه عليه بنعمة؟!! ألم يعطك غيرها مِمّا حرم منها غيرك؟!

لِمَ تحسد من أنعم اللَّه عليه بنعمة؟! هل جزمت بأنّها له نعمة، فربما تكون له فتنة؟!

لِم تحسد من أنعم اللَّه عليه بنعمة؟! أترضى بأن يحسدك غيرك على ما أعطاك اللَّه من نعمة؟!

لِمَ تحسد من أنعم اللَّه عليه بنعمة؟! ألستَ بذلك تزرع في قلبك الحقد وتهدم بُنيان الأمة؟!

فكِّر قبل أن تحسد غيرك على نعمة ألف مرة، فلعل نفسك تهدأ وتنالك من ربّك نعمة.

* * *

إنّ غاية الحاسد الحاقد أن يصرفك عن الشيء الثمين الذي حسدك عليه، ويسعى لذلك بكل الطرق، ولذلك إذا أردت أن تُفسد عليه حقده وتُشقيه فاستمر في طريق الخير الذي منحك إيّاه اللَّه ﷻ؛ بل ضاعف جُهدك وأصلح نيتك وراقب ربّك، فتجعل من حَسَدِ خصمك زادًا لك على المُضيّ في طريقك، فينقلب شرّه إلى خير لك.

* * *

تأمل حولك في أكثر المشاكل، فلن تجد لها سببًا واقعيًّا منطقيًّا؛ بل أكثرها قد نشأت بسبب الحقد والحسد والنميمة. حتّى ترى بعضهم لا يعرف السبب الحقيقي لخصومته وعدائه لبعض الناس.

* * *

احذر أن تُهين أو تحتقر مسكينًا أو فقيرًا أو يتيمًا، فهؤلاء أقرب إلى اللَّه منك - إن صلحوا -، ودعوتهم لا يحجبها شيء عن الجبّار ﷻ. تلمَّس فضل اللَّه ورحمته في تلمُّس حاجاتهم، واعلم أنّ سعادة الدارين في خدمتهم والإحسان إليهم.

* * *

أفيقوا أيها المَخدُوعون!!

يا من ترى أنّك الصالح الوحيد، وكلُّ من حولك طالحون!

يا من ترى أنّك العَالِم الوحيد، وكلُّ من حولك جاهلون!

يا من ترى أنّك المُوفق الوحيد، وكلُّ من حولك مخذولون!

يا من ترى أنّك المُهتدي الوحيد، وكلُّ من حولك ضالون!

يا من ترى أنّك العابد الوحيد، وكلُّ من حولك مُقصِّرون!

يا من ترى أنّك البار الوحيد بوالديك، وكلُّ من حولك عاقّون!

يا من ترى أنّك الكريم، وكلُّ من حولك بُخلاء مغلولون!

يا من ترى أنّك الفاهم الوحيد، وكلُّ من حولك أغبياء معتوهون!

يا من ترى أنّك الداعية الوحيد، وكلُّ من حولك نائمون!!

أما أدركت أنّك مخذول، مُستدرج ومفتون؟!

أما أدركت أنّ إعجاب المرء بنفسه هو دليل الخسران والثبُور؟!

أما عَلِمت أنّ ربّنا ﷻ لا يقبل من صاحب طاعة مُتكبر، ويُحبّ انكسار المُذنب؟!

أما عَلِمت قصص التائبين النادمين، ورأيت حال المتكبرين المغرورين؟

أما آن لك أن ترجع لرشدك وتندم على فعلك، وتحاسب نفسك وتنكسر بين يدي ربك؟

أَدْرِكْ نفسك قبل أن يغلّف قلبك ويحجب عن ربّه وتفتن بذنبك.

الكِبر!!

ومن أصعب ما يعالج الإنسان في حياته « الكِبر »، فهو الخُلق الذي أردى إبليس - عليه سخط اللَّه - وأورده الخلود في النار، مع علمه باللَّه ﷻ وإيمانه بأنّه الخالق ﷻ. والكِبر له صور وأشكال دقيقة قد تخفى على كثيرٍ من الناس، وحتّى على بعض العلماء، فالكِبر تزداد صوره وأشكاله دقة وخفاء وصعوبة في اكتشافها كلما زاد علم الإنسان ومكانته، ولذلك صور وأشكال الكِبر التي تصيب بعض العلماء وبعض طلاب العلم هي من أصعب وأخطر ما يصيب الناس، فمن اطّلع على سيرة الأنبياء والصحابة والصالحين يرى شدّة محاسبتهم لأنفسهم، وعظيم خوفهم من هذا الخُلق البشع، فتراهم يبتعدون عن أمور كثيرة ربما لا يخالطها الكِبر خشية الوُقوع فيه، فيتذللون للَّه ثم للمؤمنين إلى درجة قد يُنكرها البعض، ويظنّها ذلًّا وانكسارًا للخلق. فهم قد عَرفوا خطر هذا الخُلق الذميم، وعرفوا ضعف النفس وتأثير الشيطان، فلجؤوا إلى اللَّه ﷻ مع اتخاذهم لكلِّ الاحتياطات من الوقوع فيه، ولكنّهم أدركوا أنّ من يَعصِم هو اللَّه وحده ﷻ.

* * *
* *
*

أعمال الجوارح

تَفَقُّد الأيتام والأرامل والمحتاجين من أعظم القُربات، ومما تُتّقَى به النار، وتُستمطَرُ بـه الرحمات، فمن يسّر اللَّه لـه ذلك فلْيـلِـجْ هذا الباب وسيرى البركة في ماله وذريته.

* * *

من أعظم أسباب السعادة وكشف الكربات عند مِحَنك أن تعطف على الأيتام، وتتفقد حوائجهم، وتمسح عـلـى رؤوسهم، وتـدخـل السعادة على قلوبهم،... ومِمّا يجلب السعادة أن تتفقد أهل الحاجات والكربات، فلعلّ تفريج كُربة أحد إخوانك - ولو باليسير - تكون سببًا في حفظك وسترك بإذن اللَّه القدير.

* * *

ليس مفروضًا عليك حُبُّ كلِّ الناس - مع أنّه من صميم الدِّين حبُّ المؤمنين -، ولكن كَفُّ أذاك عن الناس - بـلسانـك أو قـلمك أو... - هو الفريضة.

* * *

لا تُنسِكم فرحة العيد المحرومين، والمعوزين، والفقراء والمساكين، واليتامى، والثكالى، أسعدوا قلوبهم يُسعدكم اللَّه ويسعد أبناءكم، فاللَّه سبحانه صاحب الرزق، ويهبه لمن يشاء ليختبره، لا تُذِلّوهم بعطاياكم، وتمتنوا عليهم؛ بل ابتسموا في وجوههم، وأشعروهم أنّهم أصحاب الفضل عليكم بقبولهم هداياكم.

قضاء حوائج الناس وتفريج كُرباتهم مِمّا يتعدّى نفعه - من مشرب ومأكل ومسكن وقضاء دين - أولى من نوافل الطاعات: كتكرار حجّ وعمرة وبناء مساجد يُكتفى بغيرها...، وهذا ميدان قلّما يصبر عليه الناس، وهو من أعظم أبواب الجنة والسعادة، وليس المراد التزهِيد في الطاعات، وإنّما تقديم الأعلى عند التزاحم، فالسعي في حاجة الناس أعظم مما ذُكِر ويمكن الجمع بينهم.

ويحضرني في هذا المقام قصة تركت أثرًا عظيمًا في فهمي للأولويات:

بعث الحسن البصري قومًا من أصحابه في قضاء حاجة لرجل، وقال لهم: مُـرُّوا على ثابت البُناني فخُذوه معكم، فأتوا ثابتًا فقال: أنا مُعتكف فرجعوا إلى الحسن فأخبروه، فقال: قولوا له يا أعمش: أما تعلم أنّ مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة؟ فرجعوا إليه فترك اعتكافه وذهب معهم.

* * *

إذا كسوت نفسك برداء التواضع حَلّاك اللّه ﷻ بحُلّة الهيبة والمحبة.

* * *

التواضع:

خُلق رفيع، ينبعُ من القلب ليستقر في الجوارح، فيُحركها بالخشوع والسكينة.

خُلق عالٍ، يرفع صاحبه من دنيا المتكبرين إلى جنة الأنقياء الخاشعين.

خُلق حقيقي لا يَقبل التصنّع ولا التزييف.

خُلق فاضل، لا يَقبل الغلو ولا التفريط.

خُلق سامق، لا يَقبل الغطرسة ولا التَّعالُم.

إنـه خُلـق العلماء والصالحين والخيِّرين، وخُلق من عَرفوا حقيقة الدنيا، وكانوا من خالقها مُقرّبين.

* * *

مقياس التواضع الحقيقي ليس في زمن لا تملك فيه علمًا ولا مالًا ولا جاهًا...؛ بل يبرُز حقيقةً حينما يختبرك اللَّه ﷻ ويُعطيك من علمه وماله وفضله، حينها تتضح حقيقة النفوس.

* * *
* *
*

مناجاة قلم

اشتهى قلمي يومًا حبرًا، فغمسته في مداد قلبي، فنظر إليّ مُعترضًا!! وقال: إنّما اشتهيت حِبرًا مِمّا يملؤه غيري؟!

فقلت له: يا قلمي أنت تحمل هَمّي، وتنقلُ فكرتي، وترسمُ بسمتي، وتمسحُ دمعتي، فلا يصلحُ لمثلك إلا مداد قلبي!!!

* * *

فارقني قلمي يومًا، فأرقني الفراق فهاتفته على عجَل، وقلت له: لِمَ يا قلمي هذا الفراق؟! أَوَمَا تعلم أنّك روح تسكن جسدي، فهل تستقيم حياة بلا روح؟!! فأجابني قلمي والحُزن يَغمره: لأنّه لم يعد أحد يُصغي للقلمِ!!

* * *

لا أملك إلا قلمًا أخط به كلمات لعلّ اللّه يتقبلها وأُساهم بها في نفع أمتي.

* * *

إذا انحنى القلم مرة فقد لا يقوم بعدها.

* * *

القلم الصادق يمشي على الأشواك لكي يقطف للأجيال أطيب الثمر.

* * *

مرّر قلمك على قلبك، واغمسه في جراح الآخرين، ليجد مِداده

مُستقرًّا في قلوبهم.

* * *

رأيت قلمي اليوم حزينًا كئيبًا، فقال: واأدباه، واقلماه!! فقلت: لبيك يا قلمي، ما الذي تخشاه؟! قال قلمي مطأطئًا رأسه خجلًا: واأدباه واخجلاه!! قلت: أفزعتني وأدميت قلبي، هل كتبْتَ ما لا ترضاه؟! قال قلمي: يا ليتني كُسِرتُ قبل أن أقرأ ما خطته يداه!! وانزوى قلمي في ركن وهو يردد « واأدباه، واأدباه » ثم أردف قائلًا: لم يعد للقلم شرف بعدما قرأت ما وصفوه زورًا « بأدب الأدباء » وأقاموا لجُرْمِ ما خطته أقلامهم حفلًا، خجلت منه أقلام الشرفاء!!

قلت: لا عليك يا قلمي، فأنت في زمن لم يعد فيه من يُغيث من يصرخ « واقلماه ».

* * *

قد يملّ ويضيق صدر القلم!!

* * *

هناك أقلام، كالنائحة المستأجرة.

* * *

القلم كالقمم، يتسامى كلّما عَظُمت الهمم.

* * *

للقلم صرير، لا يسمعه إلا من يعرف قيمة القلم.

* * *

كثيرًا ما يتألم قلمي، ولكنّه يُسكّن ألمَه، بأن يَسكُب مِداده على

الورق، ويكتب ما يُخفّف به ألم المُتعطشين للعلم.

* * *

لاموني أنّني أُكثر من محاورة قلمي؟!

قلت: لو علمتم السبب لبطل العجب!! دعوني أحدثكم عن قلمي، فلعلّكم تأنسون بما آنسته منه.

لقد وجدتُ قلمي أصدق من يُعبّرُ عن مشاعري وحُلمي!!

وجدتُ قلمي أصدق مَن حاورني!!

وجدتُ قلمي أقرب لفكري وأفهم لقولي!!

وجدتُ قلمي أثبت في المحن مِنّي!!

وجدتُ قلمي أفضل من يُنصفني ويعرفني!!

وجدتُ قلمي أكثر من يُحسن الظنّ بي!!

وجدتُ قلمي خير من يُواسيني عندما تفرّق الناس من حولي!!

فلا تلوموني على حُبّي لقلمي!!

* * *

الزم حدودك يا قلم!!!

رسمت لقلمي يومًا إطارًا، وقلت له: لا تخرج عنه حتّى لا يُؤذيك أحد من البشر!! فالتفت إليّ مُستغربًا ومُستنكرًا، وقال: إذا قيدتني لإرضاء البشر، فإن مِدادي لا يرضى بقيد غير ما سَنّهُ ربُّ البشر!

* * *

قد يكتب القلم بالصمت أحيانًا ما لم يُحسن كتابته بالكَلِم.

كانت للقلم قيمة تعدل قيمة البشر، أمّا في زماننا فلا قيمة للقلم ولا للبشر.

* * *

قلمي، قد أودعتك سرّي، فلا تبُح به، فإنّني في زمن لم أعد آمن فيه حتّى على نفسي!!

* * *

مداد القلم شرف، فصُنه كما تصونُ شرفك، ولا تخُوضنّ به إلا في ميادين الشرف.

* * *

لا تكتب بقلم غيرك، فتُشوّه صورة قلمك.

* * *

حتّى إذا توقف قلمي، فسيظل حِبري ينسَاب على ورقي، ينقل نبضي وينشرُ فكري.

* * *

واقلماه!!!

قلمي، ماذا دهاك؟! أتعبت، أم خارت قواك؟! أمَلَلت نشر فضيلة؟! أم أنّك تحنُّ إلى دُنياك؟! قُم، وحُثّ الخُطى... فلعلّك تحظى يومًا بِمُناك.

* * *

إذا أردت أن تكتب فتخيل أنّه آخر كلام تكتبه وسيبقى أثرًا لك.

* * *

من أكثر الأشياء التي تُشجِّع على الكتابة ولو بكلمات يسيرة هيّنة، أنّك لا تدري ربما كلمات قليلة تكتبها ارتجالًا تخرج في لحظة صادقة تُصيب سهامها قلبًا مفتوحًا ينتظر نصف كلمة، فتجد لها أثرًا قويًّا ربما لا تقصده ولا تتوقعه، ولكنّ اللَّه ﷻ يُبارك في القليل إذا خالطه الإخلاص!

* * *

أيّها الكاتب!

قلمك مِرْآتُك، فما تكتبه يعكس فكرك وخُلقك.

* * *

أثرُ القلم؟!!

سيتأثرُ الناس بما تكتب، عندما يشعرون أنك تكتب لقلوبهم، وليس لأشكالهم وألوانهم وأعراقهم وانتماءاتهم.

* * *

الكاتب الموفّق؟!!

ليس هو الذي يُسطّر بديع الكلمات، ويرسم أنيق العبارات، ويصيغُ لحن الكلمات، ويُطرِب الأسماع بالكلمات المُنمّقات....

بل هو: من يكتب بقلبه، ويرسم بأشجانه، ويصيغ بأفراحه حروفًا وكلمات صادقات يحملن الآهات والعَبَرات، ويخترقن القلوب دون قيود أو عقبات، ويُلامسن واقع الناس دُون تكلّف ولا تعقيدات، ويُساهمن في تسكين الآلام وتضميد الجراحات، وإدخال البهجة والمسرّات على قلوب المسلمين والمسلمات.

للقلم حنين للأحبّة كما نَحِنُّ، يشتاق لرؤيتهم، يأنَس بصحبتهم، يُشاطرهم أتراحهم، ويُشاركهم أفراحهم، ويُسطّر كلَّ ذلك بمداده الذي لا يَنضب.

* * *

قلمي يكتب بدموع الألم، فيُخفّف مِحنتي، ويُؤْنِسُ وحدتي، وينشر فكرتي، ويمسح عبرتي، ويشحذ همّتي، ويسمع همستي، فكيف أفارقه وهو قطعة من جسدي؟

* * *

أوَ يبكي القلم؟!!!

للقلم دموع يسكبها مدادًا، فينجلي بها همّه.

* * *

للقلم شرف..

وشرفه ألا يكتب إلا ما يُرضي الرحمن.

* * *
* *
*

حب التعلم

أجمل إحساس لم يُفارقني؛ بل يزداد، وأحمد اللَّه تعالى عليه، وأسأله سبحانه ألا يَحْرِمَنِيه - ما بقيت في هذه الدنيا - هو أنني أتعلم وأحتاج أن أتعلم، وكل يوم أشعر بالحاجة أكثر وأكثر للتعلم، ولا آنف ممن أتعلم مهما قلَّ علمه.

* * *

عندما أتعلم بِضع مسائل جديدة كنت أجهلها أو أُجدّد العهد بمسائل قد نسيتها أشعر بسعادة تغمرني لا يعلم مداها إلا اللَّه ﷻ... ثم أتساءل وأقول: إذًا!! كيف يشعرُ العلماء وهم يتعلمون أضعاف ما أتعلمه؟!

* * *

إن أجمل شعور ينتابُني عندما أقرأ كتابًا جديدًا مُفيدًا، هو كشعور طفل يتعلم الحَبْوَ لأول مرة، وتعلُوه نشوة وزهو وفرحة لا تُوصَف بأنّه مُقبل على عالم جديد يفتح له ذراعيه، ويمدُّه بطاقة عظيمة وكأنّه سيجُوب الكون كلّه بمفرده!!

* * *

الكتاب وأنا وكفى.

* * *

ليس أجمل من شعور أنك تتعلم، وأن ما تعلمته أقلّ مِمّا تجهله. حينها يتسع أُفقك، ويزداد نهمك للعلم، وتعرف قدر نفسك، وتتواضع

لربّك، وتعلم أنّه سبحانه مَن يمنحك البركة ولو في القليل. فالعبرة ليست بالكثرة؛ بل في بركة وجَوْدة ما تعلمت.

* * *

طلب العلم لذّة حُرِم منها الكثير.

* * *

واللَّه ثم واللَّه ثم واللَّه لمذاكرة العلم مع مَن يتذوقونه من طلاب العلم، وخصوصًا سيرة الجيل الذهبي الأول لهو من أفضل مُتع الدنيا.

* * *

من أَجلِّ نعم اللَّه في الدنيا علينا الكتاب وما حوى، وقد أصبحت حياتنا مملة وكاسدة ولا طعم لها بدون الكتاب.

* * *
* *
*

مع الأدب والأدباء

محاولة السير في دروب الكلمة!!!

كنتُ في أيام الصبا لا أميل كثيرًا لقراءة كُتب من يَمتهنون الأدب - هكذا كنت أظنهم - ولا أُجيد خوض بُحورهم، وأعتقد أنّ كثيرًا منهم يتكلّفُ الصّنعة، وأنّهم يعيشون بكتاباتهم الوردية في عالم الأحلام، وأنّ جُلّ ما يكتبونه هو جُنوح إلى الخيال والحياة النرجسية الفوق أرضية؛ فهم يعيشون في عالم جُدرانه مبنية من الكلمات المُنمقات، وسقفه مفتوح إلى السماء، يُرخي العنان لأفكارهم وأحلامهم حتى تُفارق عالمنا أو تكاد، وأرضيته من عجين يكسوه رماد، لا يكاد يثبت عليه صاحبه، ولو ثبت عليه حِينًا فقد يَسُفُّهُ الرماد.

وتَخلّل ذلك العُزوف والهُجران لبنيان الأدب وفُرسان البيان لقاءاتٌ عابرة غير مقصودة بالغوص والكشف عن ذلك البُنيان. وكان الباعث لحصول بعض تلك اللقاءات العابرة توفيق اللَّه، ثم أن نشأت في بيت أساسه وبعض أركانه يُحبون العلم وقراءة ما يحتويه الكتاب، فكان يأخذني أحيانًا حبّ الفضول والشغف بمعرفة ما يحتويه الكتاب الأدبي الذي تلمحه عيناي ويشتهيه فكري، مع ما ترسّب خطأً في فكري في ذلك الزمان من أنّ كُتب الأدب لا تنفع طالب العلم والمعرفة إلا أهل التخصّص ومُحبّي الخيال والمبالغة في الوصف والبيان.

ومِمّا أذكره من تلك اللقاءات العابرة لبعض صُروح البلاغة

والبيان، قراءة كتاب « النظرات والعبرات » للأديب المؤدب وصاحب البيان مصطفى لطفي المنفلوطي، والذي أعطاه اللَّه ﷻ قَلَمًا ينزع به رداء الغموض ويفتح به عُقد الكلام، نعم أبهرني أُسلوب المنفلوطي السلس البسيط العميق، ولكنّني كنت في فترة لم أنتبه فيها إلى الكنوز التي تحويها كُهوف الفصاحة والبيان. وبعد أن مرّت سنون تخللها أشباه ذلك اللقاء، شدّني الحنين من جديد بعد أن التقيت - في عالم الكتاب والقراءة - صرحًا مميزًا وممهدًا جدّد العهد في البحث في دروب الأدب وحُرّاس البيان. وهو اللقاء الذي لم يكن عابرًا كما ظننت؛ بل أصبح حُبًّا وعِشقًا للأدب وصنّاع البيان؛ فكان اللقاء بشيخ وفقيه الأدب والأدباء، العالم النحرير « الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ».
فقد كان أول من استحثني بعباراته البسيطة أن أَسْتدعِيَ القلم وأن أخط بالبنان، مع تخوّف وتجاسر على أن أقتحم سُورًا قد تكسّرت أمامه أقلام وأقلام. ثم سِرت بخطوات متثاقلة خجولة إلى رأس من رؤوس البلاغة والبيان، إلى فريد نفسه وعصره، وما قبله من الأزمان، من شهد له الخصوم والأقران بأنّه حامل بنيان البلاغة والبيان، مصطفى صادق الرافعي، ورأيتني أمشي في دروب بديع كلامه على أطراف أصابعي مترددًا ومتهيّبًا لعظيم البنيان والبيان، وقلت: حسبي أنّني أحاول دُخول عتبات بُنيانه لعلّني يُصيبني من قراءة بعض كلماته عبيرُها مع مشقة الوصول إلى إدراكها وفهمها في ذلك الزمان.

ولكن يظلّ عبير المنفلوطي هو من جذبني إلى غيره، وأحاول أن أُجدّد العهد به بعد أن لامس القلبَ حبُّ القلم وأهل البيان.

وبعد مُضِي زمن الشباب وفورته، والإقبال على زمن ما بعد الأربعين وتأملاته، أدركت أن الأدب والأدباء أصناف وأشكال، وأن وُلوج عالمهم بالقراءة والتدبّر في بعض أسفارهم هو ضرورة وسلاح لا بد أن يقتنيه محبّ العلم والكتب، ومن يريد أن يُدرك بديع اللغة العربية التي اختارها ربّنا ﷻ لنقل رسالة الهداية للإنس والجان. رزقنا اللَّه وإياكم الفصاحة والبيان من غير تكلف ولا تقعير ولا هذيان.

وللحديث بقية في رحاب الكلمة ومحبي البيان.

* * *

كلمات في إبداع الرافعي!!

من قرأ للأديب الأريب « مصطفى صادق الرافعي » انتابه شعور أنّ اللَّه ﷻ قد طوّع له الكلمات يُشكلها كيف يشاء، ويرسم بها لوحات حسيّة ومعنوية وفكرية متناسقة، لا يجفُو فيها القلم ولا يشذ، ولا يُبالغ ولا يَحتد، تلمِس نبضات الكلمات، وتشدّك العبارات المتناغمات، تحتاج عند قراءة مقالاته أن تسافر مع فكره وقلبه، وتبتعد عن كل ما حولك، وكأنّ كلماته تقول لك بفخر وثقة: لا تنصرف لغيري، فمتّع عينيك وفكرك وقلبك ومشاعرك...

له من اسمه كاملُ النصيب، فقد اصطفاه اللَّه ﷻ ليُنقذ الأدب والعربية من سفول الاغتراب عن دِينها ومصدر عزّها، وهو صادق في عبارته ومشاعره نحو دِينه ولغته وأمته، ثم رفع اللَّه الأدب والعربية به، ورفع قدره في قلوب من يعرفون قدر الأدب وقدر الكلم والقلم.

* * *

لي ولله الحمد أحبّة يُؤنسون وحدتي، ويُشاركونني فرحي وترحي؛ من أهلي وأحبّتي، ومع قلتهم في زمن محنتي، ولكن في قُربهم بالأجساد أو بالروح تكمن سلوتي، وأدعو الله أن يحفظهم وأن يُديم بهم فرحتي.

لكن تظل لي ساعات أكتمها وأدخرها لخلوتي، وأنْشد فيها لقاء أحبّة لا أحبّ أن يشاركني فيهم محبتي غيري.

هم أحبّة أُسامرهم وألاطفهم رجاء حصول نشوتي. ما عرفت فيهم الغدر ولا الجفاء ولا نظرة الشزر، نظرة إلى مُحياهم تجلو الكدر وتذهب الملل، صفاء القلوب حليتهم وينساب من أفواههم كل عذب من الكلم، تنال من أفكارهم سليل العزّ والمجد، ويُرفرف القلب ويهفو إلى حديثهم، ولا يملّ ما دام يخلو بهم وينفرد. لا تلوموني في حبّهم، فهم نعم الأنيس ونعم الخِلُّ في زمن غاب فيه الوفاء، وساد أهل الغدر والكدر.

كنتُ لا أبوح بحبّهم خشية أن يشاركني حبّهم غيري، ولكن لا بد لي يومًا من البوح بالسرّ، فإنهم: كتابي وقُرة العين يا قلمي.

* * *
* *
*

الإبـداع

ما أعتقده في الإبداع أنّه طاقة إيجابية كامنة في الكثير من البشر، بمختلف مداركهم وقدراتهم وخلفياتهم الفكرية والعلمية والتفكيرية، وهذه الطاقة لا تخرج ولا تكتشف غالبًا من صاحبها أو ممن حوله إلا في ظروف معينة وبيئة خاصة، ومَنجمُها الرَّحْبُ: المحنُ والبلايا.

والسعيد من ألهمه اللَّه ﷻ تسخيرها في طاعته ومرضاته، ثم في نفع البشر.

* * *

ليس الإبداع أن تُحدث تأثيرًا مجردًا في غيرك بوسائل مختلفة، لكن الإبداع الحقيقي أن تُحدث تأثيرًا صحيحًا ومفيدًا في غيرك.

* * *

الإبداع لا ينتظر الظروف المناسبة، فهو يأتي رغم كل الظروف؛ بل في أشدها وأصعبها، ما دام صاحبه يحمل عزيمةً وهدفًا وهمةً وغايةً ساميةً بعد توفيق اللَّه ﷻ وعونه.

فالإبداع يخرج من تحت الركام، وينفضه عنه؛ ليصنع من ذلك الركام بناءً شامخًا يسمو بصاحبه في سُلم الهمة لينير دربه ودرب أمته.

* * *

إنّ الشعور بقوة اللَّه وقدرته شعور عظيم، كلما ازداد قوة في قلبك وجوارحك كلما زاد معه شعورك بالعزة بين الناس، والثقة باللَّه، والرغبة في نفع الناس، والإحساس بالأهمية حتى لو لم تكن صاحب

منصب أو جاه أو مال...، وهو شعور بأهميتك عند ربك ورغبتك في الإبداع والإنتاج حسب ما ألهمك اللَّه به وسخرك له.

* * *

الإبداع في الكتابة بالكلمة؟!!

هي الكلمة والعبارة الصادقة؛ التي يستنبطها ويستخلصها الكاتب مِمّا يلهمه اللَّه ﷻ به، ومِمّا يفهمه ويدركه من حصيلة العلم، والأدب، والتجربة، والخبرة التي مَنَّ اللَّه ﷻ بها عليه طيلة حياته التي سبقت لحظة الكتابة، وينقلها بأسلوبه الخاص لغيره رجاء الأجر من اللَّه ﷻ، ثم نفع نفسِه وأمته.

* * *

الإبداع في الشر!!

هناك أشخاص يُبدعون في الخير، في نَواحٍ شتى من الحياة، ويُقدِّمون لأمتهم ولأنفسهم، وهناك أشخاص يبدعون في شتى أنواع الفساد، ويبذلون جهدًا لو ادّخروه للإبداع في الخير لفاقوا كلَّ مبدع؛ فيُبدعون في الحقد والكيد والمكر لإخوانهم، ويُنفقون الأوقات، والساعات، والأيام في التخطيط والتنسيق لتحقيق أكبر ضرر لغُرمائهم، ولو بذلوا مِعشاره في الإصلاح لسادوا الناس.

* * *
* *
*

هدفك في الحياة

الشهادة والدراسة والمال كلّها وسائل وليست أهدافًا. فما هدفك في الحياة؟ كيف تعيش بلا هدف والموت يُدركك كل يوم؟

* * *

هل لك مشروع واضح في حياتك شرعت فيه، أعددته لقبرك مِنْ غير عملك الذي تأخذ عليه أجرًا؟!

* * *

تاقت نفسي إلى المعالي، ولكن شَكَتْ لي طول الطريق!! فقلت لها: يا نفس لا تجزعي، فالسير في طريق المعالي علُوٌّ في الحياة وخُلود في الجنان وإن طال الطريق!!

* * *

لا تُقيِّم حياتك بما يراه الآخرون، فإنّ عمرك سيضيع في تغييرها لمحاولة إرضائهم وإقناعهم، ولن يرَوْك إلا بالصورة التي يُريدون. ولكن قوِّمها بما يُرضي ربّك، وبما تراه يناسبك في تحقيق ذلك الرضا، فالسعيُ في تحقيق ذلك هو طريق السعادة، ورحمة اللَّه وبركاته ستكون لك خير معين.

* * *

هل تركت أثرًا في أمتك؟

سؤال لا بد أن تسأله لنفسك كلَّ صباح، ولا بد أن تبحث عن إجابته قبل أن تأوي إلى فراشك، فقد لا تستطيع أن تسأله لنفسك مرة

أخرى، والأثر لا يلزم أن يَعلمه الناس، لكن اجتهد أن يقبله اللَّه ﷻ منك وينفعك به وينفع به خلقه.

* * *

أيّها العاقل!!

لا تشغل نفسك بمن سينصر الأمة؛ بل اجعل كل همّك وشغلك أن تكون مِمّن ينصرها لتنجو وتنال رضوان اللَّه.

* * *

حاول أن تترك أثرًا صادقًا مخلصًا فيه لربّك، فربما ترى ثمرته في حياتك أو بعد موتك، والتاريخ حافل بقصص مَن تركوا أثرًا لم يتفتح وَردُه إلا بعد موتهم، وقد عبّر عن هذا مالكوم إكس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه، فقال: « هل تعرف أنّ بعض أعظم الرجال الذين عرفهم التاريخ لم يُعترف بهم إلا بعدما واراهم التراب؟ ».

* * *
* *
*

علمتني الحياة

لا تتمادَ في البوح بأفكارك، فعقول كثير من الناس يقودها التصنيف والشكوك وإساءة الظنون...، ولكن بُحْ بقدر ما تحتاج أن تنفع به غيرك وتؤدي به أمانة العلم، واحتفظ بفكرك للعقلاء - إذا وجدتهم - فهم عملة نادرة وكنز مفقود، وإلا فليسعْك سرُّك ولتصبر على حفظه.

* * *

للصمت لغة، لا يفهمها المتكلمون.

* * *

مهما كنتُ في ضيق أو كرب يأتيني شعور بالفرح والتفاؤل والسعادة مع أول زخّات المطر.

* * *

نحتاج أحيانًا أن نُعالج الألم بالألم، حتّى ينشط الجزء المصاب، ولعلّه يعود لأصله وفطرته التي فطره اللّه عليها.

* * *

التفاؤل، لا يعني أن تكون ساذجًا، والحذر والاستعداد للأسوأ لا يعني أنك متشائم!!

* * *

فَتِّشْ عن أحلامك وطموحاتك، ما هي وأين تتجه؟ وحينها ستعرف قدر الدِّينِ في قلبك.

* * *

مُعادلة النجاح - بإذن اللَّه - في الكتابة بالقلم والدعوة باللسان!!!

قراءة منهجية منظمة وواسعة ومستمرة + إصغاء واستماع بقلب وعقل لأهل العلم والحكمة + صبر جميل + قلة كلام + قلة مخالطة مع انتقاء + التأنّي حتى سن النضج وخاصة بعد الأربعين + إخلاص ومجاهدة للنفس = حكمة وأثر عميق فيما تكتب وفيما تقول.

* * *

إن الابتسامة التي تخرج من تحت رُكام المحن والألم لتضيء وجهك، وتزرع السكون في قلبك، هي ابتسامة في الغالب صادقة، تحمل خبرة طويلة في الحياة، ومرت بظروف صعبة؛ بل ربما أشدّ من الصعوبة، ولكنّها خرجت من قلب يحبّ أن يرسم لوحة مشرقة، تكون سببًا بعد اللَّه ﷻ في جلاء الهموم، ونشر الخير والأمل.

* * *

من دروس الحياة، إذا ألمّت بك المحن فإنّك ستجد كثيرًا من أصحابك لا يشعرون بحقيقة ما تمرّ به من محن إلا عندما يُبتلون بنفس البلاء!!

* * *

ما مرّ يوم إلا وندمت فيه على كثير كلام تكلمت به حتّى في المباح، وعلمت أنّ أحد أسباب رقة القلب والعزة أن تلتزم الصمت إلا فيما تعلم نفعه وترجو أجره.

* * *

لا تحكم على الناس من خلال غيرك، فليس من العدل ولا العقل

ولا الحكمة أن تفعل ذلك، ولن يضرّ مَن حكمت عليه شيئًا؛ بل ربما تُعطيه حسناتك، فانتبه ولا تجعل غيرك يقُودك إلى الخسران.

* * *

ما تفعله من صواب لا يعني أنّك دائمًا على الحقّ. وما تفعله من خطأ لا يعني أنّك لا تصيب أحيانًا.

* * *

الكثير من الناس يُلدغون عشرات المرات، ويعودون إلى نفس الجحر الذي قد لُدِغُوا منه!!!.

* * *

لا تنتظر الإنصاف من غالب الناس، فقد يطعنك مَن كنت تأمن جانبه، فالإنصاف عزيز، وقد يُنصفك البعيد، ويظلمك القريب. ولكنّ اللَّه موجود، وهو أعلم بمكنون النفوس.

* * *

رفقة عَالِم عامل بما يعلم وصاحب تربية وأدب، أفضل من قراءة عشرات الكتب بدون رفقة.

* * *

قاعدة مهمة لمن يطلب العلم وفي الحياة عامة:

الوُصول إلى الهدف وتحقيق المراد صعب، ولكن الأصعب منه المحافظة عليه.

* * *

العاقل، من يُضيء لنفسه الطريق فينجو ثم يضيء لغيره فينجيهم

معه. والخاسر من يحرق نفسه ليضيء لغيره فينجون ويهلك.

* * *

الحديث عن المبادئ يستطيع أن يتقنه أيّ أحد، ولكن الثبات عليها هو ما لا يستطيعه إلا أصحابها الحقيقيون وما أقلهم.

* * *

أصحاب الهمم العالية، ليس لديهم أوقات يشغلونها بالأحقاد، والشتائم، وتتبّع العثرات، فهمتهم تشغلهم عن الصغائر والمحقرات.

* * *

أحيانًا تختار طريق الألم لتحفظ كرامتك.

* * *

غالبًا، العدو الظالم لا ينتصر بقوته؛ بل ينتصر بضعف وتفرق خصمه.

* * *

ستجد سعادة واحترامًا وتجاوبًا وحُسن ظنّ من عامة الناس أكثر مما ستجده من بعض من يُسمون طلاب علم - أقول البعض - في مجال النُّصح والدعوة!!! ولقد لامست من بعض العلماء الربّانيين انبساطًا وسعادة في دعوة البسطاء والعامة مع ما قد يلقونه من أذًى أحيانًا.

* * *

لا تدري ما يُكتب لك ويطرح فيه البركة؟!!

من اطّلع على كتب الأولين والمتأخرين أدرك أنّ البركة جُند من

جنود اللَّه ﷻ، يهبها لمن يشاء ولمن يحبّ، ولذلك ترى بعض الناس قد ألّف كتبًا في علم معين، لم يُكتب لها القبول كما كُتب لغيرها. ومن خير الأمثلة، ما حدث مع كُتب الشيخ الطنطاوي رحمه الله، فقد ألّف كُتبًا كثيرة في مختلف العلوم الشرعية، وانتشرت، لكن كتابه « الذكريات » قد كُتِب له أكثر القبول عند الناس، واستفاد منه خلق كثير، وهذا ما ذكره الشيخ الطنطاوي نفسه، أنّه أحبّ الكتب لديه، ولم يتوقع أثره!! وهو كتاب في عدّة أجزاء جمع فيه خُلاصة رحلته في الحياة، وعُصارة فكره وعلمه بأسلوب أديب شيّق، فكان إذا ذُكر الطنطاوي ذُكر معه كتابه هذا. وكذلك ابن الجوزي رحمه الله، ألّف كُتبًا كثيرة متخصّصة في علوم شتى، ولكن اشتهر منها كتابه « صيد الخاطر »، وهو كتاب كتبه في طريقه إلى الحج!!! وكُتِب له القبول فيما لم يُكتب لغيره من كُتبه...، فلذلك لا تدري أيّ عمل يُكتب لك وينفعك، ومن تتبّع سيرة د. عبد الرحمٰن السميط، الطبيب الداعية الكويتي رأى له القبول بما لم يُكتَب لمن ألّفوا مجلدات!!!

* * *

قد تحتمل ألمًا لتزرع في نفس مَن تحبّ أملًا.

* * *

إنّ من يتبنى فكرًا وفهمًا نابعًا من إرادته ونفسه وليس وكيلًا لغيره، يمكنك أن تجد يومًا ما أرضية مشتركة معه مهما بلغ الاختلاف بينكما، لتصل يومًا ما إلى الحقّ أو جزء منه، لأنّك بذلك تُحاور إنسانًا بذاته وفكره. أمّا نقاش ومُحاورة مَن يحمل فكر غيره، أو ينوب عنه،

أو مستأجرًا له، فالنقاش معه عبث وضياع عمر، فمن تُحاوره لا يملك رأيه ولا أمره ولا إرادته، ويسير حيثما سار فِكر مَن استأجره.

* * *

قد يُنصفك البعيد، ويطعنك ويفتري عليك القريب.

* * *

غُربة الدِّين والفكر أشدّ من غربة الوطن.

* * *

إذا سألت الناس أذلّوك، وإذا شكوت إليهم همّك أرهقوك، وإذا أعطيتهم سرّك فضحوك، وإذا طلبت نُصرتهم خذلوك، وإذا أحسنت إليهم تركوك، وإذا سايرتهم أهانوك، وإذا اعتزلتهم شتموك، وإذا جالستهم استضعفوك، وإذا ارتفعت أسقطوك، وإذا سقطت أَرْدُوك...، فاستبدلهم بصُحبة القرآن، والأنس بالدعاء، ومطالعة سيرة الأبرار، يُعزّك اللّه بينهم ولو كنت وحدك.

* * *

الفاشل، هو من يُحاول أن يشوّه تاريخ غيره، ليصنع تاريخًا لنفسه.

* * *

من بنى أمجاده على مدح الناس وكلامهم، فليعلم أنَّ مَجْدَهُ هزيل لا يدوم.

* * *

لا يترك العاقل الخير الذي يجده عند غيره ممن يخالفه؛ بل يحرص على الخير حتّى الذي عند عدوه إن كان يرجو اللّه واليوم الآخر.

لا يدوم لك ودُّ كثير ممن عرفت إلا من أحبّك بصدق، وعرف معنى الوفاء، والوفاء كلمة يصعب ترجمتها في هذه الأيام!!

* * *

يصعب علينا غالبًا معرفة معادن من نُصاحب من البشر إلا بعد فوات الأوان، ولكنّه يسهل علينا معرفة الكتاب الذي سنقرؤه، وما يمكننا أن نستفيده منه، فلذلك أكثرْ من مُصاحبة الكتاب النافع، وقلّل من مصاحبة البشر، فإذا فعلت اقترب منك النّفيسُ النافع النادر من البشر.

* * *

أتريد وصفة السعادة؟!!

دُموع حارّة وسجدة طويلة، تعرف بعدها طعم السعادة وترى بها طريق الجنة.

* * *

أن يكون ألمي سببًا في تسكين آلام الآخرين، أحب إليَّ من أن يكون أملي سببًا في خِداع الآخرين.

* * *

عندما تسقط، ستجد أن أكثر من حولك ممن وثقت فيهم يسألونك مباشرة: كيف ولِمَ سقطت؟! ولا يمدون إليك أيديهم لينهضوك!!

* * *

قل لي ماذا تكتب؟! أقل لك من أنت؟

* * *

قالوا: تأخرت عن الركب؟!!

قلت: لئن تأخرت وأدركت الركب يومًا، خير من أن أُسرع وأُضيع الطريق!!

* * *
* *
*

تأمـلات

لا تدري أين الخير؟!!

- خَسِرت الشهادة وقد سعيت؟!

لا تدري لعلّ في هذه الشهادة فشلَك في الدنيا والآخرة!!! وكم رأينا من صاحب شهادة أفسدته!!

- حُرِمت الوَلد والسَّند؟

لا تدري، لعلّه يكون سببًا في شقائك وحسرتك!!

وقد رأينا من تمنى الموت بسبب عُقوق الوَلَد!!!

- حُرِمت المال والذهب؟!!

لا تدري، لعلّه يكون سببًا في طُغيانك وسطوتك!!

وقد رأينا من كان عابـدًا متواضعًا، وبمجيء المال كـان دِينُه قد ذهب!!

- حُرِمت السّفر والتِّرحال؟!!

لا تدري، لعلّه يكون سببًا في ضياع دِينك وحُصول الألم!!

وقد رأينا من كان هانئًا في عيشه، وتشتت شمله بالسفر!!

فلا تركن إلى الكسل، واجتهد فـي كُـلِّ مـا يجعلُ عيشك أفضل، ولكن حذارِ أن تسخط فيما كتبه اللَّه في القدر!!

* * *

لنا أمنيات كثيرة لم يتحقق منها إلا القليل، وكُنّا نراها كلَّها خيرًا

وسعادة...

لكن بعد ما مضت أزمان من أعمارنا أدركنا أنّ بعضها لم يكن بالخير المحض الذي تصورناه، وبعضها لا زلنا لا ندري حكمة اللّه فيه...

ولا زلنا نحلم ولنا أمنيات قد تغيرت في أهدافها وأشكالها وأحوالها، لكنّها تظل أمنيات، تزرع الأمل فينا، وتُوقد شموع الحياة في بيئة أغرقها الظلام...

ولعلّ الدرس الذي تعلمناه؛ أنّه لا حياة لنا بدون أُمنيات، ولكنّنا لا بد أن نُدرك أنّ نظرنا محدود، وإدراكنا محصور، وأنّه لا بد لنا من السعي، ولكن يبقى الخير كلُّ الخير فيما اختاره اللّه الحكيم لنا في كل الأمور.

* * *

حدثتني نفسي يومًا وقد لبست لباس الواعظين!!!

- في زمن أحاطت بِي المحن والكُربات إحاطة السوار بالمعصم، فقالت لي نفسي الأمارة بالسوء وقد لبست ثوب الناصحين وعمامة الناسكين: كم أنا مُشفقة عليك، وإنّي لأراك من الأشقياء المحرومين، ولا أظنك إلا مغضوبًا عليك من ربّ العالمين...

ثم بدأت تُعدد لي حالي في مُقابل أحوال الآخرين، فقالت وهي تحاول أن تُخفي مَكْرها خلف ثياب الواعظين: أما ترى فقرك وضيق عيشك، وقد أنعم اللّه على فلان وفلان من الصالحين؟!

فقلت لها: لقد ضاق عيش سيد الأنبياء والمرسلين وهو خير مني ومنك ومن فلان ومن الناس أجمعين، وكان يبيت الهلال والهلال ولا يجد ما يُطفئ به الجوع ولو بالتمر الرديء!!

- فنكّست رأسها وكأنها لم تظفر بالجواب الذي تريد، ولكنّها لم تيأس وقالت: أين فلان وفلان مِمَّن كانوا حولك في سعة الدنيا، وقد انزوَوا عنك حين اشتدت بك المحن وفارقك العيش الرغيد؟!! فلا أراك إلا مغضوبًا وشقيًّا ومن الخاسرين!!

فقلت لها مُغضبًا: وهل كان نبي اللَّه وصفيه « أيوب ﷺ » من الأشقياء والمحرومين يوم أن ابتلاه اللَّه فانفضّ عنه كل من حوله من الأهل والصحب والمقربين؟!

- فأسرعت وقالت قبل أن أكمل جوابي لعلّها تجد ما تُسيئني به وتزرع به اليأس في قلبي الكسير: وأين ثمار دُعائك وصبرك بعد ضياع العمر والسنين؟! وانظر إلى فلان قد استجاب اللَّه دعاءه وفُتح عليه من البركات والخيرات الشيء الكثير!!

فقلت لها: وهل بقاء يوسف ﷺ الصدّيق لخمس وعشرين سنة في السجن بعد فراق أبويه ظُلمًا هو دليل على أنّ اللَّه لم يستجب ليعقوب ﷺ دعاءه لأربعين من السنين؟!

- فقالت والغيظ يملؤها: أنت تُكابر، وقد أحاط بك الكرب من كلِّ صوب وحين، وأرى الشقاء هو لِباسك، وستستكين!!

فقلت لها: واللَّه يا نفس يا أمارة، ما أرى الشقاء إلا في اتّباعك

والبعد عن ربّ العالميـن، وأنصحك بأن تكفّي عن غرورك، وأن ترتقي وتلحقي بأخواتك من النفوس المطمئنة قبل أن يأتيك اليقين فتكوني من الخاسرين!!

* * *

حينما يشكو إليك إنسان همّه وأحزانه فهو يريد أن يسمع منك تسليةً ونُصحًا لطيفًا يشدّ من أزره. ولا يُريدك أن تكون حكمًا على أفعاله، ومُقرّرًا لمصيره هل في طريق الجنة أم النار!! هو يريد قلبًا مفتوحًا رحيمًا يحسن الظنّ به ويستر عيوبه، فقد يكون أقـرب إلى اللّه منك، وقد تدور الدائرة وتصبح مكانه يومًا ما!

* * *
* *
*

الإلحـاد

كثير ممن جلسوا ليلهم ونهارهم يُتابعون برامج ومواقع تُشكّك في سنّة النبي ﷺ، وفي كُتب السنّة، وفي تفسير القرآن الكريم، وفي حَمَلَةِ السنّة والدِّين، انتهى بهم المطاف إلى الإلحاد والعياذ باللَّه، وهذا كلام من الواقع، وبإطلالة على سِيرِ كثير منهم ترى العُجاب سواء كانوا مُستقلين أو مأجـوريـن، نسأل اللَّه أن يختم لنا على الإسلام.

* * *

وقفات مع موجة الإلحاد والشباب؟!

لاحظنا في السنوات القليلة الماضية أنّ هناك موجة واضحة لشباب في عدة دول إسلامية يُعلنون تركهم للإسلام وإلحادهم، وأصبحت المُجاهرة بهذا الكفر شجاعةً في نظرهم وفي نظر من يدعمهم ويتبناهم، **وهنا يتبادر إلى الذهن عدة تساؤلات:**

- هل هي موجة حقيقية أم تضخيم إعلامي مقصود؟

- ومـا هـي الأسـباب الحـقيقية والواقـعية لهذه الظاهرة إن صحّ تسميتها بالظاهرة؟

- ولماذا التركيز على بعض الدول الإسلامية؟

- ولماذا لا يتم التركيز على ظاهرة الإلحاد في الدول الغربية بالرغم من انتشار هذه الظاهرة بشكل واضح في الغرب؛ بل ربما كثير منهم ملحدون؟

وهناك أسئلة كثيرة، لكن أكتفي بأهمها، **وأستعين باللَّه وأحاول الإجابة عن بعضها حسب فهمي لها، وباللَّه التوفيق**..

أولًا: لا يوجد حسب ما قرأت وشاهدت إحصائيات حديثة يمكن الوُثوق بها عن حجم هذه الظاهرة في الدول الإسلامية، والغالب وحسب المُشاهد أنّ الإعلام هو المحرك الأساسي في عرض هذه الموجة أو الظاهرة المسماة « الإلحاد »، سواء كان الإعلام المرئي أو المقروء وخاصة مواقع التواصل الاجتماعي، وهناك تعمد واضح لتسليط الضوء الإعلامي (وليس العلمي الواقعي) الذي يعرض الموضوع من ناحية إعلامية غير متجردة؛ بل يسعى الإعلام إلى تضخيم الموضوع أو على أقل تقدير إلى إثارة انتباه عامة الناس إلى الظاهرة بطريقة عشوائية لا توضح الأسباب الحقيقية، ولا الخلفيات لمن يتبنون هذا الإلحاد، وترى أيضًا السطحية في عرض الموضوع؛ بل قمة السطحية في اختيار العيّنات من هؤلاء الشباب التائه، ولعلّ هذه السطحية متعمدة؛ ليبقى الموضوع طافيًا دون تحليل علمي ولا واقعي، والذي يعلم ما يسعى إليه الإعلام التجاري الموجه في غالب القضايا الحساسة الأخرى في أمتنا، سيعلم ماذا يريد وما هو الهدف من عرض هذا الموضوع بتلك العشوائية والسطحية؛ لزيادة خلط الأوراق، وإبعاد الناس عن التشخيص الحقيقي والعلاج، **وسأشير هنا باقتضاب إلى أهم الأسباب في نظري بعد متابعة طويلة للموضوع**:

السبب الأول: من الواضح - من الناحية الواقعية - أنّ غالب من يتبنّون هذا الإلحاد هم من فئة الشباب الصغير جدًّا في سن ما قبل

الخامسة والعشرين أو دونها - وليس لدي إحصاء دقيق كما ذكرت، وهذا يفسّر عدم النضج وسهولة استغلال هذه الفئة، وخاصة إذا صاحبتها ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية سيئة.

السبب الثاني: هو الهروب من التكاليف الشرعية والدينية والأخلاقية، والتي يراها هؤلاء الشباب تقييدًا - أو هكذا صُوِّرت - لهم، ولذلك تجد هؤلاء الشباب عندما يُبررون تبنِّيهم لهذا الإلحاد أول ما يركزون عليه وصفهم للدِّين بأنّه قيّدهم، فألزمهم بتكاليف كالصلاة والحجاب و...، ومنعهم من الاستمتاع بحريتهم، وشهواتهم كالخمر، والعلاقات المحرمة و...، فإذًا ليس إلحادهم بسبب تفكير عميق طويل؟!! وهذا السبب هو الغالب مهما أخفوه وزخرفوه، وكلّما استمعت أكثر لأفرادهم ازددتُ قناعةً بأنه هو السبب الغالب.

السبب الثالث: رُدود أفعال لسوء فهم للدِّين، أو لسوء تصرفاتِ بعض الدعاة، أو لسوء تصرفات من المجتمع - إن صحّ ادعاؤهم - ولا شك أنّ هناك واقعًا سيئًا ساهم في هذه الظاهرة أو الموجة من بعض الدعاة وطلاب العلم الذين أساؤوا فهم الدِّين، وانتهجوا طريق الغلو والتناقض عن جهل أو عن عمدٍ مجاراةً للواقع في مجتمعاتهم، وكذلك هناك تصرفات خاطئة من بعض الأُسر والمدارس والمؤسسات في تعاملهم مع الشباب، وتلبية احتياجاتهم الفكرية. ومع إقرارنا بوجود بعض الأخطاء، لكن هذا لا يمكن أن يكون مُبرِّرًا لعاقل في ترك دينه، وإنكار ربّه وخالقه ﷻ، فهذا مع كونه ضحالة في التفكير، هو تصرف الجبناء والضعفاء الذين يفرّون من مواجهة الواقع، إذا سلمنا أنّهم

يتركون عبادة الواحد القهّار ﷻ بسبب سوء تصرف ما.

السبب الرابع: هو ادّعاء بعضهم أنّه قد قاده تفكيره في الكون وما حوله إلى الإلحاد، وأنه لا إله خالق، ولا مُدَبّر للكون، وأنّهم قد خُلقوا بالصدفة أو بقوة الطبيعة، وهذا وَهَمٌ وتناقض أن يظنّ إنسان أنّ المُلحدين يُنكرون وُجود اللَّه ﷻ، فهم إنّما أنكروا وُجود اللَّه تَحلُّلًا من شرعه ونظامه كما ذكرت في السبب الأول، وعبدوا أهواءهم وشهواتهم، فلا يمكن أن يعيش بشر بدون أن يعتقد بوجود قوة ما خارقة تُسيِّر الكون، فهذه فطرة اللَّه التي فطر الناس عليها، ولكنّهم رفضوا أن يُقرّوا بأنّ هذه القوة هو اللَّه ﷻ، واستبدلوا عبادة اللَّه بعبادة آخرين؛ كعقولهم القاصرة وشهواتهم. وكيف يعبد الإنسان عقله الذي يعجز عن تفسير حقيقة ماهيته، ويعبد عقلًا سينتهي ويفنى؟!!

* * *

كلمات حول مفهوم الإلحاد!!

مُلحد: مصطلح كَثُرَ تداوله هذه الأيام بشكل واضح، وبدأنا نرى تسويقًا له من بعض من يتسمّون بأسمائنا، وينتمون لنا بأشكالهم، ويُفارقوننا بأفكارهم، وولائِهم وبرائِهم ودينهم.

ولستُ هنا لعرض المعنى التقليدي للملحدين: بأنّهم لا يؤمنون بوجود إله...، فهذا المعنى أراه تعريفًا ساذجًا قاصرًا غير واقعيٍّ؛ لأسباب سأذكرها بإذن اللَّه في ثنايا هذه الخاطرة حِين أُعدّد أصناف الملحدين، فهم ليسوا سواء، فالإلحاد له سببان رئيسيان: شبهات أو شهوات.

والملحدون في الجملة صنفان باختصار:

الصنف الأول: طبقة المُشكِّكِين، وهي طبقة معينة من الملحدين وهم الأقل، فالمتأمل في أحوال هؤلاء الملحدين وحقيقة أفكارهم وتبريراتهم وشبهاتهم يجد أنّهم طبقة تدّعي الإلحاد، وهي في الحقيقة تُمارس أساليبَ خبيثة في تشكيك الشباب وضعاف العلم والدِّين في دينهم ومعتقداتهم مستغلين أحوالهم المعيشية والنفسية...، وهؤلاء في واقعهم ليسوا بملحدين بالمعنى الدَّارج؛ بل بعضهم ينتمي لِدِين ما، ويُمارس طقوسه، ولكنّه يعمل على تدمير شبابنا وتشكِيكهم.

الصنف الثاني: طبقة ضَعَفَة الشباب، هُم شباب ضِعافُ الإيمان والعلم، وتنقُصُهم الخبرة في الحياة، وأحاطت بهم ظُروف نفسية ومعيشية جعلت الصنف الأول يستغلهم ويَبثُّ فيهم الشبهات، وهم في حقيقة الأمر ليسوا بملحدين بمعنى أنّهم لا يؤمنون بوجود إله، ويُدركون فلسفة هذا الإنكار؛ بل هم يعبدون إلهًا ما هم قد اختاروه بديلًا عن الخالق سبحانه، وغالبًا ما يكون السبب هو تفلتهم من الأحكام والقوانين الإلهية، والشرائع الربّانية لأنّهم يَروْنَ فيها تقيِيدًا لشهواتهم ورغباتهم، وهؤلاء في حقيقة أمرهم يعبدون إلهًا يقدّسونه ويعظمونه كما نُعظم نحن خالقنا ﷻ، وإلَـهُهُم هو هَواهم وشهواتهم ونزواتهم وعُقولهم القاصرة.

* * *
* *
*

المحن والابتلاءات

المحن لا تأتي كما نتمنى ونشتهي، إنّما مِمّا نخاف ونخشى، حينها نعلم أنه لا ملجأ ولا منجا من اللَّه إلا إليه.

* * *

مِنَحٌ تخرج من رحم المحن، فالألم والمحن عندما نُحسِن فهمها ويرزقنا اللَّه ﷻ الصبر عليها حينها تصبح هذه المحن جزءًا من شخصيتنا؛ بل ترسم ملامح حياتنا القادمة، وتكون وقودًا لطاقات كامنة تنبعث يومًا ما بقوة، وتصنع لنا بإذن اللَّه مستقبلًا فيه إبداع ينفع أمتنا إن أحسنا توجيهه.

* * *

من خرج من مِحنةٍ ولم يكتسب منها مِنحةً فليُراجع نفسه وعمله مع اللَّه فيها، وهي علامة على الخسران وأنّه لم يفهم مراد اللَّه منها، فإذا فهم الإنسان مراد اللَّه منها وتعامل معها بمُراده فلا بد أن تُنتج منحة.

* * *

قد يصحب الابتلاء ذُل شديد ولكن؟!!!

قد يبتليك اللَّه ﷻ بالذُّل لبعض خلقه، مع مرارة شديدة حينًا من الزمن، ولعلّ اللَّه قد جعلها لك سببًا لتلجأ إليه بعد أن وضعت اعتمادك على الأسباب ونَسيت المُسبِّب سبحانه، أو اغتررت بنفسك وقوتك...، ولعلّ اللَّه قد جنّبك ذُلًّا أمَرّ وأشدّ وأنت لا تعلم، وليست

قصة أيوب عليه السلام منك ببعيد؛ فقد قلَّ ماله وولده وصحته لثمانية عشر عامًا حتّى كان لا يستطيع الذهاب إلى الخلاء لشلل قد أصابه، ولم يَتبقّ له إلا زوجة صالحة كانت تخدم في بيوت الناس؛ لتجلب بعض الرزق، وهي زوجة نبي صالح أوّاب، ثم عوّضه اللّه عمّا فقد بأفضل مِمّا كان، وقبضه اللَّه عز وجل إليه وهو في عزٍّ ورخاء.

* * *

المحن لا تأتي فُرادى؛ بل تأتي مُجتمعة.

* * *

لسنا مَن يختار المحن، إنما يختارها العليم الحكيم. فاصبر على مرارتها لعلّ اللَّه يجعل عاقبتها مِنحًا كثيرة تُنسيك مرارتها ولا يحرمك أجرها.

* * *

إذا رأيت فِتنًا تعصف بالعُصاة المُنحرفين والظلمة فلا تظنن العصمة لنفسك مهما كنت على خير وصلاح في نظر الناس، ولكن اسألِ اللَّه العصمة والسلامة من الفتن حتى يُدركك الموت، فلا تدري بما يُختم لك ولا لَهم.

* * *

قد تُحيط بك المحن من كل اتجاه، وتخسر أعزّ ما لديك بعد أن تعبت في تحصيله، وتعتقد أنها نهاية الحياة، ولكن اللَّه العزيز القدير ربما يُخبّئُ لك حياة جديدة أفضل تسعد بها.

* * *

ما مَرّت مِحْنَـةٌ إلا وجدتُ في طَـيّاتها مِنَحًا بفضل اللَّه، حتّى التي قـد قـصّرت وأسـأت فيها، وحتى التي آلمتـنـي وأتعبتني في جسدي ونفسي، وهذا من فضل اللَّه ورحمته ومنته على خلقه.

* * *

قد تنزل بالإنسان مِحَنٌ مجتمعة يطيش بـهـا عـقله، وينفذ صبره، ويفقد حلمه، ويتشوش فكره، ولـكـن تَـذكُّر سكرات الموت ويوم الوداع يُرِيه ذلك كله هينًا.

* * *

ومِمّا يُؤنسني في محنتي أنّها بيد ربّي، وأنّه قادر على أن يقلبها إلى منح لي..

* * *

المعادلة؟!!

مِمّا يُعين على فهم ومواجهة التحديـات والتـقـلبات والمحن والابتلاءات التي يتعرض لها المسلم فـي حياتـه أن ينظر للحياة على أنها « معادلة حسابية ». **فللمعادلة طرفان: يمين وشمال.**

الطرف اليمين: هو كل ما يتعرض له المسلم في حياته من سراء وضراء...

الطرف الشمال: هو المحصلة التي يجب أن تنتج عنها خلاصة ما يحدث في الطرف اليمين، ولا بد أن تكون نتيجة واحدة مهما تنوعت المحن وهي الجنة ورضوان اللَّه ﷻ.

وهذا المفهوم يجعلك تعرف حجم كلِّ مشكلة، وتدرك أنّه مهما

حدث فلا بد أن تصل لنتيجة واحدة، وبذلك تسدّ طرق الشيطان، وتلزم التوبة وتُحسن الظنّ بربّك وتسعى جاهدًا لرضوانه، فلا تَحْقِرنَّ معروفًا أمام فضله، ولا تَسْتَعْظِمنَّ ذنبًا أمام عفوه..

* * *

تعاقب المحن!

كلما سَرَّني أَمْرٌ وأيامٌ، تَلَتْها مِحن ومُكدرات، فعلمت أن اللَّه ﷻ له حِكَمٌ في تعاقب السراء والضراء، ومن أهمها أنّ هذه الدار ليست بدار استقرار، وأنّ الأُنسَ بها مُوحش، والوحشة بها أُنسٌ باللَّه.

* * *

إننا نشفق على المُبتلى، وقد يكون إلى اللَّه أقرب منا ببلائه إذا صبر.

* * *

شكوتُ إلى الخلق مِحْنَتِي، فما زادتني الشكوى إلا مزيدًا من المِحن، فأرجعت شكواي إلى من بيده أمرُها، فتحوَّلت شَكْوايَ إلى مِنَح.

* * *

جاءتني المِحنة يومًا..

- فقالت: ألستَ بمُشفق على نفسك مِني؟

قلت: ولِمَ؟!

- قالت: ما ابتُلي بي أحد إلا وأوهنته، وبالرزايا رَميتُه، وبالهَمّ أثقلته، وبالغَمِّ غشيته!!

قلت: ولكنني أعددتُ لكِ؛ رحمةَ ربٍّ كريم ألجأ إليه، وصلاةً

وسجودًا أَجِدُّ بها إليه، ودعاءً واستغفارًا ألهج به إليه، وأختمها بصبر يصعب عليكِ أن تقارعيه!!!

فماذا أنتِ فاعلة؟!!

- فَنَكَّسَتِ المِحْنة رأسها وقالت: ذلك الذي لم أعدّ له عُدَّته، وليس لي به جلد، ثم تَمْتمَت: وأنت بذلك قَلَبْتَني بعون اللَّه إلى مِنحة، فيا ويحي إن خرجت!!

* * *

يا من أحاطت به الهموم والمحن، واللَّه ما ابتلاك سبحانه إلا ليذَكِّرك بفضله وقوته وكرمه لتعود إليه، وينالك الخير بقربه، فالجأ إليه وتمرّغ بعتبة بابه، وداوم طَرْق الأبواب حتّى تُفْتَح لك، فاللَّه لا يرضى أن تعتقد الفَرَج في غيره وهو من أوجدهم وأنعم عليهم وأكرمهم.

* * *

كنّا نسمع ونحن صغار من بعض الناس: أنّ هناك صنفًا من الناس يزرعون الابتسامة في قلوب الآخرين، ولكنّهم تُعساء، ويعيشون حياة ضنكًا، ويَبِيتُون ويَصحُون في المحن...

وبعد ملامسة المحن، ومكابدة الأيام، وصراع الزمن، تَبيّن أنّ هذا الكلام ينقصه الحكمة والدقة؛ بل الواقع يخالفه في كثير من الأحيان، فقد عاصرنا وخالطنا رجالًا زرعوا الابتسامة في قلوب الكثير؛ بل قد رسموا بفضل اللَّه وحده طريق النجاة للحيارى المُشتّتين، ولكنهم عاشوا السعادة الحقيقية والطمأنينة والرضا بقضاء اللَّه وقدره مع ما مرّوا به من مِحَن تعقبها مِحَن، وفِتَن تعلُوها فِتن، وآلام تخرج من رحمها

آلام، وأحزان تُرقِّقها أحزان، ومع ذلك جعلوا كل تلك المكدِّرات والمنغِّصات زادًا يحملهم إلى إسعاد قلوب الناس، وتفريج كروب المكروبين، وإرشاد التائهين، فكانت أعمالهم وقُودًا مُضيئًا ينبعث من كوم القش الذي يجمع شتات الأوراق المتساقطة، والأغصان المتهالكة التي لا يُظنّ أنّها تصلح لأيّ حياة، فهم يحملون قلوبًا تُحلّق في ملكوت اللَّه، وعُيونًا تنظر لنعيم الجنان، وعُقولًا لا تعرف الأحزان والأحقاد، وإيمانًا عميقًا بالرحمٰن ربّ الأرض والسموات.

* * *

يا من فُرِّجت كُرباتُه، وانجَلَت همومه وأحزانه، لا تنسَ فضل مَن قرّبك إليه وأسبغ عليك نعمه، ومنحك فضله ومعونته، وتذكّر أنّه سبحانه هو من سخّر لك عباده، وجعلهم سببًا لكشف أحزانك.

* * *

هل تريد أن تعرف إن كان البلاء الذي حلّ بك خيرًا أو شرًّا، ورحمة أو سخطًا؟!

انظر لحالك بعد البلاء: إن كان سببًا في زيادة القُربى إلى اللَّه تعالى، وزيادة الطاعة والاستغفار والانكسار للَّه تعالى، فاعلم أنه خير ورضوان من اللَّه، وإن كان مُؤدّاه التسخط والإسراف في الذنوب والبعد عن علام الغيوب فاعلم أنه عقوبة وبلاء.

* * *

اشتدت عليَّ المحن يومًا..

- فقالت لي نفسي: ما أشدّ بلاءك!!

قلت لها: مهلًا يا نفس، كيف حكمتِ؟!!

- قالت لي: أما رأيت فلانًا أكثر منك مالًا، وفلانًا أكثر منك ذرية، وفلانًا أفضل منك دينًا، وفلانًا أكثر منك علمًا و...

- قلت لها: ما أنصفتِ، ولا عدلتِ!!!

- فأطْرَقَتْ قليلًا.

فعاجلتُها قائلًا: هل علمتِ أحدًا لم يُبتلى؟! هل علمت أحدًا لم يُفتَتن؟! هل سبَرتِ وخبرتِ كلَّ أحوالهم؟! هل تأملتِ في حياتهم؟! هل عندكِ صكٌّ بقبول أعمالهم؟!

- فلم تُجِبْ، واستمرت في إطراقها..

ثم أردفتُ لها بالقول: واللّه يا نفس لقد تأملتُ في كثير من أحوال من فاقُوني مالًا وعلمًا وفضلًا..... فرأيت ما لا ترينه مِمّا ابتلوا به!! ثم قارنتُه ببلائي ونعمتي، فعاجلْتُ ربّي بالاستغفار والحمد والرضا بما قسم لي، وقلت: ما أدراكِ لو أنّ اللّه ابتلاكِ بما ابتلاهم به أنّكِ ستَصبرين وتَهنئينَ وتَسعدينَ بما أنعم اللّه عليهم؟!!!

حينها أيقنْتُ وأيقنَتْ نفسي أنّ ما أصابني به ربّي هو أفضل ما قَسَم لي، وأنّي لن أكون أسعد بغيره!! فتأملوا!!....

* * *

كثير من الناس لم يعرفوا طاقاتهم الإيجابية المكنونة التي أودعها اللّه فيهم إلا في المحن، فتخرج مصقولة، صقلتها المحن والإِحَن.

* * *

الصبر والثبات على الدين

دِين بلا صبر، كالقلم بلا حِبر.

* * *

الصبر طعمه مُرّ، لكنه دواء لما هو أَمَر.

* * *

البلاء والصبر والرضا، إذا اجتمعوا فأبشر بسعادة في الدنيا، ونعيم مُقيم في الآخرة.

* * *

قد ترى أحيانًا ظُلمًا يصيبك أو يُصيب من حولك، أو سُوء فهم تُريد أن تُزيلَه، فتُحاول رفع ذلك الظلم أو إزالة سوء الفهم بالبيان في وقت ما، ربما يُؤدي بك إلى ما هو أشد وأكبر! فأحيانًا الصبر على ذلك الظلم أو سوء الفهم وبَلْعِه على مرارته أهون ضررًا من السعي لرفعه في تلك اللحظة، ولا شك أن تقديرك متى؟ وأين؟ شيء يصعب عمليًّا، ولكن للَّه سبحانه وتعالى حكمة في الخير والشر، والعاقبة للصابرين.

* * *

توطين نفسك على الصبر والرضا بقضاء اللَّه عز وجل هو سبيلك للسعادة في الدنيا، والنجاة في الآخرة.

* * *

ما رأيت نعمة يُنعم بها اللَّه عز وجل على عبده بعد العلم والعمل مثل نعمة « الصبر ».

- فالصبر مدرسة لا يلتحق بها إلا من اصطفاه اللّٰه ﷻ وقرَّبه.

- الصبر، جنّة في الأرض، وسعادة لا تُشترى بمال الدنيا.

- الصبر، تاج على رؤوس أصحابه يقودهم إلى أعلى درجات الرضوان.

- الصبر، لباس الصالحين من العلماء والسالكين.

- الصبر، حُلّة فاخرة لا يقدر على ثمنها إلا أصحاب الهمم العالية.

* * *

بكت نفسي يومًا بكاءً مريرًا..

- فقلتُ: ما أبكاكِ؟ وما الذي أحزنكِ وكَدَّر صَفْوكِ؟

قالت: جراح أمتي كثُرت وتعمّقت وما أجد من يُسكّنها؟

ثم تجددت نوبة حُزنها، وقالت: أمَا آن لهذه الجراح أن تَندمل؟

- قلت - والقلب يعتصر - : هوِّني عليك يا نفسُ، إنّما الحياة الدنيا أيام وساعات، فما أقصر حُزننا فيها إذا ما أكرمنا ربّنا بالجنّات!! وما ألذّ عيشنا بجراحنا إذا ما تذكرنا النعيم والكوثر والرحمات.

لا بد يا نفس وللجراح أن تلتئم، ولا بد للظلم أن ينحسر، ولا بد للفجر أن ينتشر، ولا بد للحق أن ينتصر. إنما هي صَوْلة للباطل وللحق صَوْلات.

* * *
* *
*

ذِكر الموت

كُنْ حذرًا!! فقد تكتب كلمات في الصباح لا تُلقي لها بَالًا، وتُمسي وأنت في القبر!!!

* * *

لو جعلتَ القبر نُصْب عينيك ما كتبتَ إلا ما تحريتَ أنّه صدق، وما كتبتَ إلا ما ينفعك وينفع المسلمين.

* * *

الإحساس بالموت يتعاظم كلَّ يوم، وتتعاظم معه الحسرة على سجدة أضعتها، وقرآن هجرته.

* * *

لا أدري ما ينتظرني من قدَري؟ لكني أعلم أن رحمة اللَّه ستشملني.

* * *

كيف لمن يرى الموت كل يوم يتخطَّفُ حبيبه أو صديقه أو جاره، ثم يقتل ويسرق ويخطف ويكذب ويظلم؟!

إذا لم يكن الموت واعظًا فمتى تتعظ؟! فأدرك نفسك قبل الغَرْغَرَة، فَسَكَرات الموت شديدة، وما بعدها أشدُّ إلا أن يتجاوز اللَّه برحمته.

* * *

الخواتيم!!!!

لو كان لنا أن نحكم على الناس بظواهرهم؛ أنّهم من أهل الجنة أو من أهل النار لَحَكَمْنا على كثير من المنافقين الذين يُظْهِرُون الصلاح

بأنّهم من أهل الجنة والنعيم، ولحكمنا على كثير مِمّن يظهر لنا أنّهم من العصاة أو المقصرين أنّهم من أصحاب النار والجحيم، ولكنّها حكمة اللَّه ورحمته أن حجب عنّا الخواتيم، وجعل أمرها بيده سبحانه وهو أرحم الراحمين، فما أجمل أن تكون خواتيمُنا بيده وليست بيد خلق من خلقه، وهو الحليم الرحيم.

* * *

لا أدري إلى متى أعيش بجسدي؟!

لكن أتمنى أن أترك ما يعيش بعدي، وينمو، ويدركُني نفعه في قبري.

* * *

حالك في قبرك لا يعكسه شكلك الخارجي.

* * *

ماذا أعددنا لسكرات الموت؟

هل تركنا أثـرًا فـي أمتنا يترحمون به علينا؟!! أخشى أن نقول: يا حسرتى على ما فرَّطتُ في جنب اللَّه؟!!

* * *

كلّما ضاقت بي همومي وجاء ذكر الموت هانَتْ وتسليْتُ.

* * *

يُفني عمره في تتبع عيوب غيره وعثراتهم، وعند سكرات الموت تَظْهر له عيوبه وزلاته.

* * *

لو اجتمعت عليّ محن وبلايا وآلام الدنيا فلن تعدل أول ليلة في القبر.

لا يمكن أن تستقيم لك دنيا ولا تصلح لك آخرة إلا بذكر الموت.

* * *

إذا سمعت بمسلم أو مسلمة قد فارقوا الحياة ولا تعرفهم فخُصّهم بدعائك، لعلّه يأتي اليوم الذي تحتاج فيه إلى دعاء مَن لا تعرف.

* * *

تتزاحم الأفكار أحيانًا، وتتسابق المحن، وتتبارى الفتن، وتحيط بنا المصائب حتّى يعجز الواحد منّا عن التفكير السليم والصحيح للتعامل معها والخروج منها، حتَّى تدع الحليم حَيرانًا، ويعجز العالم الزاهد عن تهدئة وتصبير المُبتلى بها، وفي هذه الأوقات يقذف اللَّه في قلب أحدنا كلمة واحدة قد تكفي للتعامل مع كلِّ ذلك، وتُحيل البلاء عافية، والهُموم سرابًا، ألا هي كلمة الموت؛ قاهر الجبابرة، ومُفرح المظلومين، ومُبشر المؤمنين، ومُنذر الكافرين.

* * *
* *
*

مع الدعوة والدعاة

أيها الداعية!!

عندما تدعو الناس وتنصحهم لا تظننّ أنّك تتفضل عليهم بدعوتك ونُصحك؛ بل اعتقد جازمًا أنّ اللَّه قد تفضل عليك بأن سَخَّرك لنُصحهم، واستعملك لدينه وشَرَّفَكَ بالدعوة إلى سبيله.

* * *

من أكبر مزالق الدعوة؟!

من خفايا المسائل التي يقع فيها بعض الدعاة وطلاب العلم أنّهم أحيانًا لا يُفرّقون بين ما يكرهون كأشخاص وبين ما يكرهه الشرع والدِّين، فَيُنكرون أحيانًا على الناس ما يكرهونه لأسباب عديدة تتعلق بالتنشئة والبيئة وما كرهه الشيوخ...، ويُلبّس عليهم ذلك بلباس شرعي فيتوهمون أنّه موافق للشرع.

وفي المقابل: لا يستغلنّ أحدهم هذا الكلام ليردّ أحكام الشرع بسبب ظنّه السيئ في الداعية أو طالب العلم، أو لمخالفته لعاداته وتقاليده وبيئته (مع اعتبار الشَّرع للعُرْف في مواطن ولكن بضوابط) ويتّهم كلَّ ما يقوله الداعية الصادق المعروف بدينه؛ بل يجب أن يتحرى صدق الداعية وحُجته بكلِّ ما يستطيع من وسائل ممكنة علميًّا وعمليًّا، فالمُتَلَقِّي لا بد أن يجتهد قدر المستطاع بما يتناسب مع فهمه وإدراكه وعلمه مع أنّه لا يخرج عن دائرة المُقلد.

* * *

لماذا أثر الموعظة يكون قصيرًا؟

كثيرًا ما يدور هذا السؤال في خَلَدي وفي خَلَدِ كثير من المسلمين: عُصاةً وطائعين، **وفي كثير من الأحيان نحتار ونتساءل:** لماذا أبكي عند سماع موعظة أو درسٍ أو نصيحة ما، وبمجرد مفارقتنا لذلك المجلس تقسو قلوبنا من جديد؟!!

أقول وباللَّه التوفيق: هناك أسباب عامة تشملنا جميعًا كمسلمين، وأسباب خاصة متعلقة بأفراد الناس وآحادهم، **ولعلّ من أهم هذه الأسباب:**

أولًا: أن كثيرًا من هذه المواعظ تكون معتمدة على القَصَص التي يُلقيها بعض الوعاظ والدعاة من الواقع، أو مما قرؤوه، ولا يرتبط بها تأصيل شرعي علمي عملي مأخوذ من كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ وسيرة أصحابه الكرام، والتابعين لهم بإحسان، والأئمة المهديين من بعدهم، فيكون أثر هذه القَصص لحظيًّا ووقتيًّا؛ يتفاعل معها المستمع، ثم مع مرور الوقت يزُول ذلك الأثر، إما بنسيان القصة، أو بنسيان سببها، وهذا ما يحدث كثيرًا عند سماع القصص من عامة الوعاظ ممن لم يَتَأَصَّلوا بقواعد العلوم ومقاصد الشريعة، ولم يدرسوا سيرة النبي ﷺ ومن بعده بطريقة علمية تأصيلية، فتجد اعتماد هؤلاء الوعاظ على الانفعالات والتأثيرات الوقتية، ولكن إذا تأملنا طريقة العلماء الراسخين في العلم، فنجد أنّ طريقتهم تعتمد على تأصيل الموعظة وربطها بكتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ وسيرة أصحابه والأئمة المتبوعين العملية، فتخرج من موعظتهم - أي العلماء - بفوائد

عديدة علمية وتربوية ويتأثر قلبك ويبقى هذا الأثر بإذن اللَّه ﷻ طويلًا، وكلما واجهتك مشكلة أو ضَعُفتَ استحضرتَ تلك الموعظة وربطتها بواقعك ووجدتها تُرشدك إلى حل عملي، بخلاف القصص المجردة التي يزول أثرها بزوال مجلسها غالبًا.

ثانيًا: من أهم الأسباب في استمرار أثر الموعظة في القلب هو الرفقة الصالحة والواعية والناصحة التي تُداوم على تذكيرك بتلك الموعظة وأخواتها، ويتذاكر معك هؤلاء الرفقة من حين إلى آخر فوائد وآثار تلك المواعظ، فيتجدد أثرها في القلب والسلوك وتجدها لك مؤنسًا في مصاعب الحياة.

ثالثًا: إدمان قراءة سيرة الرسول ﷺ والصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، حتى لا يكاد موقف من مواقف الحياة إلا وعندك فيه حديث أو أثر عملي، فتبقى بذلك مرتبطًا ارتباطًا دائمًا ووثيقًا بإذن اللَّه ﷻ بالمواعظ ويكون لها أثر واضح في حياتك حتى لو قلّ الأصدقاء والناصحون.

* * *

ليكن ما تكتبه مِمّا يرضي اللَّه ﷻ وينفعهم وينفعك، وليس مِمّا يُرضي أذواقهم، فإرضاء الناس جميعًا غاية لا تدرك، وتُفسد عليك عمرك، وتُبعدك عن هدفك، وتَصرف جُهدك، وتُعكّر صفوك أكثر مما تتوقع، فأذواقهم وأفهامهم تختلف، والواقع أنّ مَن يسعى للخير ونفع الناس - حتّى ببعض ما يكرهونه لاختلاف أفهامهم - سيجد بإذن اللَّه محبّتهم إذا سعى في مرضاة ربّهم سبحانه.

الكثير منّا يتكلم عن برامج وخطط لا يُنجز منها شيئًا والعمر يمضي، ولكن هناك برامج يسيرة ومهمة وأجرها عظيم، كتعليم العجم والبسطاء الفاتحة التي لا تصح الصلاة إلا بها، فانظر كم مرة سيقرؤوها من غير الفريضة؟ وكم سيلحقك من الأجر بإذن اللَّه (١٧ مرة في الفريضة يوميًّا)؟!!

* * *

ومِمّا يشكو منه كثير من الناس أنّ خطبة الجمعة تتكلم عن واقع ليس بواقعهم ولا بلغتهم؛ إمّا لأنّها لغة ركيكة مختلطة، أو للتقعر والتكلف، فيخرج الناس لا كلامًا فهموا ولا قلوبًا عمروا.

* * *

لا يفقه الدعوة من ينصح أصناف الناس المختلفة بنفس الدرجة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* * *

إذا لم يشعر الناس بأنّك رحيم بهم، وتريد أن تُنقذهم من النار، وتُحبّ لهم الهداية فلن يستجيبوا لدعوتك ولو كنتَ صادقًا، فلم يقبل الناس من النبي ﷺ لمجرد أنّه نبي؛ بل لأنّهم رأوا فيه الصادق الأمين، والرحيم الوفي، والمشفق عليهم، والصبور على دعوتهم، والرفيق بهم.

* * *

ادع الناس لدين اللَّه بأدب..

اعرض رأيك وفهمك بأدب..

ناقش الناس بأدب..

خالف الناس بأدب..

انتقد الناس بأدب..

رافق الناس بأدب..

وفارق الناس بأدب..

تجد من يحترمك ويُقدّرك ويسمع لك حتّى لو كان خصمك.

* * *
* *
*

الإصلاح والمصلحون

المُصلح رجل تشغله همته لإصلاح نفسه ثم أمته، فلا وقت عنده للحقد، أو الحسد، أو تتبع عثرات الآخرين.

* * *

المُصلح لا يعتقد أنّه الأصلح؛ بل يعلم أنّ اللَّه ﷻ قد أعطاه قُدرات يستطيع أن يُساهم بها في الإصلاح.....

فتأمل!!

* * *

المُصلح والناصح الصادق لا يشتغل بنقد الناس، والبحث عن أخطائهم؛ بل يشتغل بهمومهم ويبحث عن تحسين أحوالهم.

* * *

من يكتب ليرضي الناس فهو يُنافقهم، ومن يكتب لينصحهم وينفعهم، فهو يُحبهم، ويرحمهم حتى ولو خالف هوى بعضهم.

* * *

الجُرح غائر فلا تزيدوه عُمقًا، فوحدة الصف سبيل المؤمنين مهما اختلفوا.

* * *

من أكثر ما يُعيق الناصح والكاتب والداعية الْتِفَاتُه للمُثَبطين والمُخَذِّلين والحاقدين والحاسدين، ومُحاولة إعاقتهم، وتأثره بكلامهم، وهذا ما يطمحون إليه، ويسعدون به، أن تقف؛ بل أن

تراجع، وتعلن فشلك، فلا تلتفت إليهم، واستمر في الطريق مستعينًا باللَّه، محاسبًا لنفسك، ومستزيدًا بذكر ربك، ثم بنصح من يحبك، فكل التوفيق من ربك، وهو من ينفعك ويكفيك شر ما أهمك.

* * *

الصالح يهتم بإنقاذ نفسه، والمصلح يهتم بإنقاذ نفسه وأمته.

* * *

أحد أسباب محبة اللَّه للصالحين والمصلحين هو «الخبيئة».. الخبيئة: ما يخفيه الإنسان من الأعمال الصالحة عن الناس، فكلما أكثرت منها كلما زادت سعادتك وأحبك اللَّه ورزقك حبّ عباده.

* * *

لو كان من ينصح الناس لا يُخطئ ولا يُذنب، لما نصح أحد بعد النبي ﷺ.

* * *

كُن رفيقًا في نُصحك، فاعتقادك أنّك أفضل ممن تنصحه قد يكون فسادًا في نيتك وعملك، وانْصَح بالسرّ ليُقْبل منك.

* * *

إياك أن تنشغل بنُصح الناس، ووعظهم، وتنسى نفسك وتأديبها، وتربيتها، ومُحاسبتها، فلا تكن جسرًا يعبر عليه غيرك إلى الجنة، بل اعبر أنت وهم إلى الجنة، وإن استطعت أن تسبقهم فافعل.

* * *

إننا نعيش في زمنٍ النصيحةُ فيه مؤامرة، والعلم فيه خراب، والجهل فيه عمار.

* * *

العلاقة بين السائل والمسؤول؟!

- حينما يُعالج الطبيب المريض على أنّه زبون أو أنّه من متطلبات العمل فقط، حينها لن يشعر المريض أنّه بين يدي طبيب ولو كان حاذقًا.

- حينما يُفتي الشيخ للسائل الحيران على أنّه من مُتطلبات العمل الذي يتقاضى عليه أجرًا، وأنّ الفتوى هي الإجابة عن السؤال بمعلومة، حينها لن يشعر السائل أنّه يَستفتي شيخًا يحمل أمانة، وعلمًا مَبْعَثُه الشفقة والرحمة بالخلق، وأنّه بين الجنة والنار.

- حينما يَستنصحُ الإنسان صديقًا أو قريبًا يُحسن الظن به، ويُجيبه بدون مشاعر، ومعرفة وضعه وظروفه، ويُجيبه حسب خلفيته ومشاكله الخاصة (أقصد الناصح)، حينها لن يشعر المستنصح أنّ الناصح يهتم به، أو يُشفق عليه، أو يُحس بمحنته، أو يكترث لأمره.

* * *

نُصحي لنفسي ولك ليس مِثَالية، إنّما هو محاولة ارتقاءٍ للأفضل.

* * *

يقول البعض: عبثًا تُحاولون أن تنصحوا الناس، والفساد أكبر منكم، وما تفعلونه قليل في بحر الفساد، فأقول: قال تعالى: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [هود: ٨٨]. نحن نسعى، واللّه ولي التوفيق. كما قال امرؤ القيس:

بَكى صَاحِبي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَـهُ
وأيْـقَـنَ أنَّـا لَاحِـقَـانِ بـقَـيْـصَـرَا
فَقُلتُ لَـهُ: لا تَـبْـكِ عَـيْـنُـكَ إنّـمَـا
نُحَـاوِلُ مُـلْـكًا أوْ نَـمُـوتَ فَـنُـعْذَرَا

* * *

مصطلحات نحتاجها:

المُصلح الرباني: هوالذي يرى نفسه جزءًا من أمته، وأنّه يريد التغيير للأفضل مع إخوانه، ولا يرى نفسه أفضل منهم، ولذلك يقود أمته إلى العُلا.

العَالِم الربّاني: هو الذي يرى نفسه طالب علم، يسعى للاستزادة، ويُحبّ نفع أمته، ويحمل الرحمة بهم بين جَوانحه، ولذلك يَسُودُهم بعلمه وأدبه.

* * *

إذا اسْتَنْصَحْتَنِي في الدِّين، فأُلخِّصُ لك النصيحة فيما يلي: لا تُخِلّ بمحارم اللَّه وتَنْـتَهِكها، واجعل سرّك أفضل من علانيتك.

* * *

الكيف والكَمّ في الأعمال؟!!

الصالحون والمُصلحون المُخلصون اهتموا بكيفية أعمالهم، ولم يهتموا بكَمِّها؛ فبُوْرِك لهم في الكيف والكَمّ.

فالكيف في العمل: هو حرص على صدق النية للّه، وصواب العمل

على شرع اللَّه.

والكَمّ في العمل: هو حرص على مقدار العمل وعدده، وإهمال لكيفيته.

* * *

لا شك أن تـوفّـرَ البيئـة الـفاسدة حاضنة للشر والـفساد، ولذلك من أهم مبادئ الإسلام إصلاح البيئة، وإيجاد الحاضنة الصالحة للمجتمع، ولكن إذا ابتُلي الناس بوجودهم في البيئة الفاسدة، ولم يستطيعوا تغييرها، أو البعد عنها، فلن يكون اندماجهم في ذلك الفساد واشتراكهم فيه عذرًا مقبولًا عند اللَّه ﷻ؛ لأنّ كلَّ الأنبياء والمصلحين وُجدوا في بيئات مشابهة، ولكن لم يغرقوا في مستنقعاتها؛ بل سَعَوا لتغييرها، واقرؤوا نهاية سورة المؤمنون وستتضح لكم الصورة.

* * *

أرى بعض الإخوة يعترضون، ويقولون: مَللنا من كثرة الكلام في الدِّين والكتابة والنصائح...؛ بل نريد أفعالًا؟!

أقول وباللَّه التوفيق: نعم صدقـتم فـي بعض كلامـكم، ولكنّـكم عمَّمتم ولم تُفصِّلوا، ولم تُبيِّنوا الواقع!!

أولًا: الواقع يقول عكس ذلك؛ فالكلام في الخير والنصح قليل مقارنة بالشرّ والفساد المنتشر.

ثانيًا: أنّ القلّة الذين يتكلمون في الدِّين ليسوا سواء؛ فمنهم الجاهل، ومنهم الذي يُلبِّس الحق بالباطل، والقلّة القليلة يتكلم بعلم وعمل.

ثالثًا: أنّ العمل لا بد أن يسبقه علم صحيح نافع، فلا عمل يقبل

بدون علم يوافق الحق من الكتاب والسنة.

رابعًا: أنّ الكلام والنصائح ليست مجرد تكرار؛ بل مواكبة لواقع الناس وتصحيحًا لمفاهيمهم، وهذا يتطلب أضعاف أضعاف ما هو موجود الآن.

خامسًا: من صميم الكلام في الدِّين والنصائح أن نحثَّ الناس على العمل، ونؤكد أهميته، وهذا لا يتأتى إلا بالكلام والاستمرار في النصائح.

سادسًا: إذا وصلنا لدرجة أنّ الناس يُطبقون عُشر ما ننصحهم به فقد حققنا خيرًا عظيمًا للأمة، فتأملوا.

والله أعلم.

* * *
* *
*

صفات العقلاء والمنصفين

إذا سَلّمت عقلك وفكرك لغير ربّك وسنة نبيك ﷺ فأنت لا تملك حريتك ولو كنت ملِكًا مُـتَـوَّجًا في قومك.

* * *

خلافي مع صاحب الخلق أَحَبُّ إليّ من مُوافقة سيئ الخلق.

* * *

ليس المهم أن توافقني أو تُخالفني؛ بل الأهم أن تُنصفني.

* * *

لا يترك العاقل الخير الذي يجده عند غيره مِمّن يخالفه؛ بل يحرص على الخير حتّى الذي عند عدوه، وذلك حاصل لمن كان يرجو اللّه واليوم الآخر...

* * *

ويأبى اللّه ﷻ أن يَعصم من الزَّلَل إلا أنبيائه - عليهم الصلاة والسلام -. ووُقوع الخطأ من العالم الربّاني ومن الصالح أمر طبيعي بشري، ولكن خطأ العلماء الربّانيين والصالحين قليل قليل في جنب خيرهم وفضلهم، ويعفو اللّه بفضله عنهم ويرفع مقامهم في الأولين والآخرين.

* * *

من يُحارب الأشخاص المنحرفين عن الحقّ كأفراد أو جماعات فهو ضيّق الأفق، وسيقع في التناقض؛ بل حَارِب الأفكار المنحرفة

بحكمة وإنصاف وعدل ورحمة دون التركيز على شَخْصَنَة القضية، فحينها تصل إلى المبتغى، ويتحقق الهدف، وربما تكون سببًا في إصلاح الكثير.

* * *

لا تَدْعُ الناس للتحرر وفكِّ القيود، وأنت لم تتحرر من قيود: الحزب، والقبيلة، والجماعة، والمنطقة، والبلد، والشيخ الأوحد، و...

* * *

ليست الحكمة أن تقول وأن تكتب كلَّ ما تراه صوابًا في كلِّ وقت، فهذا قد يكون فتنة وخطأً، وقد يقود إلى مفاسد عظيمة؛ بل الحكمة أن تكتب وأن تقول ما تراه صوابًا في مقامه وفي زمنه الصحيح لتحقق به المصلحة المرجوة، أو التي يغلب على ظنك حصولها.

* * *

جاء الإسلام ليُحرّر الفكر من ضيق عبودية العقول إلى سعة عبودية ربّنا المعبود سبحانه.

* * *

الإنصاف عزيز!

إذا أردت أن تختبر مدى إنصافك، فحاسب نفسك كيف كانت رَدّة فعلك مع خصمك، وراقبها كيف ستتعامل في المستقبل، وهذا الحساب لا يكون إلا بينك وبين ربّك. ومن أعظم الإنصاف أن تدعو بظهر الغيب لخصمك وخاصة من كان يومًا وُدَّك.

* * *

لا يضيرك كيف تعيش إذا كانت العاقبة مرضاة اللَّه ﷻ وجنة عرضها كعرض السماء والأرض.

* * *

إذا أردت أن تصحح مسارك إلى اللَّه في الدنيا فلا بد أن تربط كلَّ أقوالك وأفعالك بالآخرة، بمعنى أن تنظر إلى ما تريد قوله وفعله في هذه الدار بما يقبله اللَّه ﷻ؛ ليوصلك إلى تلك الدار الدائمة. هي معادلة لو فهمتها بإذن اللَّه ستتضح لك أمور كثيرة.

* * *

من استطاع أن يُعِين الناس على الخير في شتى الميادين فليفعل، ولا يكوننّ من المخذِّلين. إن كنتَ طالب علم فالزم غَرْز العلم وأهله، وانشره وانفع الخلق، وإن كنتَ من رجال الميدان فكن حقًّا من رجاله، ولا تثبطنّ الصادقين، وإن كنتَ لست من هؤلاء ولا أولئك، فكن من الصادقين الناصحين، ولا تكن من المخذّلين. وإن عجزت عن كلّ ذلك فأحسِن لإخوانك بصمتك الجميل.

* * *

ليس من الرجولة أن تُدافع عن باطل أنت تعلمه ليرضى عنك أهل الباطل، أو لِتَـرْتَـزِق برضاهم، أو نكاية شخصية في من لا تحبُّ ممن يساند أهل الحقّ.

* * *

ربما في نظر البعض أنت لم تُقدم لأمتك شيئًا واضحَ الأثر وملموسًا، ولكن احمد اللَّه أنّك لم تكن مِعوَل هدم.

ليس من المبادئ أن تكون نُصرتك للحقّ ردّة فعل عندما تتضرر أنت من الباطل، والأَوْلى أن تنتصر عندما يتضرر غيرك ويُظلَم.

* * *

قد تُبغض شخصًا ما لخطأ رأيته أو ظننته فيه أو لوشاية أو لمخالفته لك في بعض أقوالك، ولكنّه قد يكون عند اللّه من الصالحين. فالمقياس ليس هو شعوري وشعورك نحو فلان؛ بل النظر الشرعي المتجرد من الهوى مع إنصاف وعدل.

* * *

الناجحون الحقيقيون:

هم الذين لا يَشْمتون، ولا يحسدون غيرهم، ولا يحتقرونهم ولو لم ينالوا الشهادات مثلهم، وفي أمتهم بالخير مؤثرون.

والفاشلون الحقيقيون:

هم الشامتون، والحاقدون، والحاسدون، والمحقِّرون لغيرهم، وفي أمتهم يطعنون ويفسدون، ولو نالوا بعض الشهادات فهم مرضى للعلاج يحتاجون.

* * *

إيّاك ثم إيّاك أن تضع نفسك حكمًا وقاضيًا على مصير العباد ومآلهم، وكأنّك تعرف من هو ذاهب للجنة أو للنار!! فإنّك إن فعلت فقد نازعت اللّه ﷻ في مُلكه، ومن نازع الجبار في مُلكه هلك.

* * *

التعامل في الخلافات والخصومات

قد يختلف بعضنا مع شخص في طرحه ورؤيته، وهذا أمر طبيعي، وخصوصًا إذا علمنا أنّه صاحب مبدأ، وليس له ولاء إلا لدينه ثم لأمته، ولم يكن جُزءًا من منظومة القتل والسرقة والفساد، فيجب أن يُحفَظ له عِرْضُه واحترامه وتقديره مهما اختلفنا معه، وإلا فلن يسلم لنا أحد، وسنزيد الصفّ انقسامًا، ونُعطي الفرصة للمجرمين للتسلط على المؤمنين.

* * *

التناصح فيما بين الصادقين خير سبيل لحلِّ الخلافات والخصومات.

* * *

لو تَخلّصتِ الخصومات من الكذب والافتراء لحُلّت أكثرها بأيسر الطرق.

* * *

تنازلك لإخوانك مِمّن يشتركون معك في الهدف نصرةُ الحقّ ومجابهةُ الباطل أفضل من أن يأتيك يوم تجد فيه نفسك تحت قبضة الباطل ولا معين بعد اللَّه.

* * *

أحترمُ خَصمي المُنصِف، ولا أحترم صديقي المُجحِف.

* * *

كثير من ردود الأفعال الشخصية والعصبية، نسميها غضبة للَّه!!

* * *

كثُر الحديث والشكوى من الناس عن الفجور في الخصومة، والمبالغة في الافتراء، والاتهامات بين الناس، حتى من مقرّبِيهم...

فأقول: الخصومة في أيامنا غير ما كانت على عهد أسلافنا، ففي أيامنا ازداد الناس بعدًا عن الدِّين والمروءة وأبسط قواعد الخصومة؛ فقد تُفَاجأ بمن يتكلم فيك بأبشع وأشنع الأوصاف على أبسط خلاف أو نزاع، وقد يكون ممن أودعته سرّك، وأمّنته على متاعك ونفسك...، **فلذلك أنصح من ابتلي بها:**

إذا كان بعض ما اتُهِمت به فيك - لأنّ من وصفك يعرفك فهي طعنة، ولكن تب إلى اللَّه مِمّا أخطات فيه، وَرُدَّ الحقوق لأهلها - ما استطعت - إن كان الذنب مع العبد، وعامل اللَّه ﷻ تفُز، وهذه الخصومة من البلاء فاصبر، وسيقتص ربّنا من شانئك.

وإن كان ما اتُّهِمت به ليس فيك فلك أن تبيّن وتردَّ دون تعدٍّ حسب المقام والمقال والحاجة...، أو أن تصبر وتحتسب وتسأل اللَّه أن يردَّ عنك ما افتُري به عليك، والعفو والصفح عن المتّهم خير إن كان لا يزيده تماديًا، ولكل مقام مقال، واللَّه أعلم وأحكم.

* * *

إذا اختلفت مع شخص ما خلافًا لدنيا: معاملات، خصومات، تجارة...؛ فلا تُلبس الخلاف لَبُوس الدِّين، ولا تُضلِّل وتُبَدِّع لتشفي غليل صدرك، وتوغر صدور الناس عليه...

نَعَمْ... الخلاف يحدث حتى بين الإخوة وبين الصالحين، وقد يَعظُم بنزغ الشيطان بينهم، لكن يبقى خلافًا لدنيا، ولعله يومًا ما أن يُحلّ....

هناك يوم حساب تُوفَّى فيه كلُّ نفسٍ ما كسبت.

* * *

بعض الناس يريد أن يُحاسِب غيره على أقوالهم وأفعالهم وأخطائِهم وأفكارهم التي صدرت منهم قبل سنوات وعقود حتّى ولو تبرؤوا منها. ولكنّه لا يحاسب نفسه بنفس المقياس حتّى على ما قَرُب عهده.

* * *

من هو الذي على الحق في الخصومات؟!!

هذا من المفاهيم الخاطئة، ولا بد أن تُصحّح فلا تبْنِ أحكامك على الناس في الخصومات، وخاصة أهل العلم والفضل الذين عرفوا بالخير، ففي الخصومات تضيع كثير من الحقائق والفضائل حتى بين الأخيار، وبالأخص خصومات العلماء والأزواج والإخوة، **ولذلك أسباب كثيرة، منها:**

١ - السماع من شخص دون الآخر من المتخاصمين، وهو أكثر الأسباب شيوعًا.

٢ - كثرة الكلام المنقول بسبب تدخل أطراف أخرى، وكثرة التأويلات والتفسيرات من المنحازين لأحد الطرفين.

٣ - ضعف الإيمان زمن الخصومة، وهذا لا يكاد يسلم منه أحد حتّى الصالحين. ففي الخصومات يتلبَّسُ الحق بالباطل، وفي هذا الباب قصص كثيرة من التاريخ حصلت بين خيرة المؤمنين.

٤ - الاعتقاد الخاطئ بالتلازم بين الخصومة وسوء أصحابها أو بعضهم، فلا بد أن تعلم أن الخصومة لا تعني أبدًا أنّ فلانًا سيئ،

وأنَّ فلانًا طيِّب ما لم يكن ذاك خُلقه أصالةً، فالحكم على الشخص بالغالب لا الاستثناء، وقد يكون طَرَفَا النزاع من الصالحين ولكنّها نزغة الشيطان.

وليس مقصودي نفي تمايز الحق والباطل في الخصومة، ولا عدم وجود المُصيبِ والمخطِئ. ليس هذا ما قصدت؛ بل صعوبة الحكم والتثبّت والتروي، ولكن في الغالب تختلط الأمور. واللَّه أعلم.

* * *

هذا حالنا إلا من رحم اللَّه!!

نزاعات، لا تعرف لها منشأً!

خلافات، لا تعرف لها مذهبًا!

عداوات، لا تعرف لها سببًا!

* * *
* *
*

الأخلاق والمعاملات

من أنت؟

شخصيتك ليست فقط تلك الصورة العابرة التي يراها أحبابك في لحظات وأنت تجمع شفتيك لتظهر ابتسامتك!!

بل شخصيتك هي مجموع أفراحك وأحزانك، نجاحاتك وإخفاقاتك، أيامك ولياليك، معلوماتك ونقصانك، حسناتك وسيئاتك، زلاتك واستغفارك، قيامك وسجداتك، آهاتك وأنّاتك، تأملاتك وغفلاتك، أنت مجموع كل ذلك، والقاسم المشترك بينها هو ستر ربك الكريم، ورحمته في كل حين، وتوبتك وَأَوْبتك إلى ربك الكريم، وخبيئتك التي سترتها عن أعين المادحين، وابتسامتك التي صنعتها رغم الأنين.

* * *

لو امتنعت عن إعطاء الناس الهدية أو الصدقة أو أي عمل خير لهو أفضل من أن تُعطيهم ثم تَمتنّ عليهم بمساعداتك وعطاياك. مع قُبح البُخل وقُبح الأنانية، لكنها أهون من الامتنان على الناس.

* * *

راعوا مشاعر إخوانكم في العيد ممن فقد حبيبًا أو قريبًا، وممن لم يقدر على الأضحية، وأطفاله فقدوا الابتسامة التي تعودوا عليها وشاركوهم الفرحة، فهذا لا يُنقص من عيدكم وبهجتكم؛ بل يزيدكم سعادة إن احتسبتم أجركم على الله تعالى، فليس شيء يعدل إدخال السرور على قلب مسلم.

ما كنت أظن أني سأُدرك زمنًا أصبح من يكتب فيه ما يخدش الحياء ويُسيءُ الأدب يُسمى أديبًا!!

* * *

قل لي من تسبُّ وتشتم أقل لك من أنت؟!!

* * *

بعض الناس إذا تركت مسافة بينك وبينهم احترموك، وإذا اقتربت منهم للتودُّد إليهم أهانوك وتكبروا عليك.

* * *

تواضع العالم لتلاميذه خلق حسن ودرجة من التواضع، ولكنه ليس المقياس الحقيقي للتواضع!! فهذا عادة ما يكون بين العالم ومن يألف من البشر وخاصة من تلاميذه.

ولكن المقياس الحقيقي لتواضع العالم هو أن يتواضع للعامة، وخاصة ممن لا يعرف؛ من الفقراء والبسطاء، فهذا هو المِحَكُّ الحقيقي وهذه هي المنزلة الرفيعة التي يعلو بها العالم الرباني بين الخلق بغض النظر عن علمه ودرجته؛ لأنّه بتواضعه للعامة في غالب أحواله؛ هو أبعد ما يكون عن التكلف، وهو انعكاس للتربية الحقيقية وأثر العلم على قلبه وجوارحه، وخشية اللَّه ﷻ ومراقبته.

فليس شيء يفتك بعلم وعمل العَالِم كالكبر؛ وهو داء الأدواء، وما أصعب علاجه إذا استفحل!!!

* * *

مَن يَتَتّبعْ عثرات الناس وخاصة من أهل العلم والفضل لا يمكن أن

يُساهم في نشر علم أو فضل أو خير؛ بل يفسد ويهدم.

* * *

لا دِين لمن يكذب ولا عهد له.

* * *

العقيدة والأخلاق توأمان لا يفترقان!!!

من أخطر ما جناه بعض أنصاف المتعلمين على الأمة، أنهم فصلوا الأخلاق عن العقيدة والدين، وجعلوها رقائق زائدة، واتهموا من يشتغل بها، فنشأ جيل يسبُّ ويشتم العلماء ويرىٰ أنّ سَبَّه وشتمه تعبد للَّه (بل للشيطان)، وأنّه من صميم العقيدة والدين!!!

* * *

لم يخلقنا اللَّه ﷻ لنتطابق في كل شيء، فهذا مستحيل، ولكن خلقنا لنتعاون فيما نشترك فيه مما لا تستقيم الحياة إلا بـه، ويـحدِّده ويقيِّمه شرع ودين يتماشى مع الفطرة التي فطر اللَّه الناس عليها.

* * *

يا من تقرأ لغيرك لتتبّع العثرات والـزلات وتـصـدر المـحاكمات افهم: « الكلام عند العرب سياق، وسباق، ولحاق ».

* * *

من يحبّ إذلال الناس لحاجتهم هو شخص مريـض، عـاش حياة الذلّ والمهانة، ويريد تفريغها في غيره.

* * *

الكثير يكره ويحقد ويُعادي ولا يعرف السبب الحقيقي؟ ولكنّه

ينقاد بأقوال غيره.

* * *

لا يأسرني أحد بمثل الأدب.

* * *

التواضع خلق، يصعب أن تزوره.

* * *

من تجربتي الشخصية أني وجدت رقة في القلب واستجابة من بعض العصاة ومن عامة المسلمين أكثر من بعض من يدعون العلم، لا أُعمِّم، ولكن تجربتي الشخصية، ومشاهداتي لتجارب كثير من العلماء مع عامة الناس في مقابل بعض من ينتسبون للعلم.

* * *

من حُرم لذة الرحمة فلا تطالبه أن يرحم غيره.

ومن حُرم لذة الأدب فلا تطالبه بأن يتأدب مع غيره.

* * *

ما رأيت أتعس من الحاقدين الحاسدين، يبذل جهده ووقته وماله وراحته في سبيل إيذاء من يحقد عليه، ولو بذل مِعشاره في العلم والدعوة وإسعاد الناس لكان من الصالحين.

* * *

لا تَشمت بمسلم..

فواللَّه إنَّ ثمن الشماتة لباهظ، ولا تستطيع دفعه في الدنيا ولا في الآخرة، واعلم أنّه لا يَشْمتُ بمسلم إلا مريض القلب، بعيد عن اللَّه،

ولقد شاهدت في حياتي عواقب بعض الشَّامِتِين، فواللَّه لا يُطيقها قلب مسلم عاقل.

* * *

ليس شيء يُحسَد عليه المسلم مثل حُسن خلقه النابع من الدِّين.

* * *

التطاوع خلق عظيم، ويحتاج لصبر وتدريب واستحضار النية، وفيه خير كثير، وهو مجلَبة للمحبة والتآلف.

* * *

إذا استشرته يومًا قال: كان لا يخرج عن رأيي!!

وإذا طلبته يومًا قال: كان لا يكفُّ عن سؤالي!!

وإذا أعانك يومًا قال: كان لا يقضي حوائجه غيري!!

وإذا استنصحته يومًا قال: كان لا يسترشد إلا بقولي!!

وإذا رافقته يومًا قال: كان لا يرافقه غيري!!

وإذا سألته يومًا قال: كان لا يقبل غير جوابي!!

وإذا جالسته يومًا قال: كان لا يسامره غيري!!!

* * *

إذا جاءك ليخبرك أنّ فلانًا يسبُّك ويشتمك أو يغتابك، فلا تأمنه - ولو كان صادقًا فيما نقل - فإنّما هذا نمّام، ولا يبتغي لك الخير. فلعلّ من اغتابك قد استغفر لك وندم، أو لم يقصد، وهذا النمّام إنما أراد أن يُوغر صدرك على أخيك - ولربما قد أخطأ بحقك - ولم يسعَ

للإصلاح. نعم قد ينقل البعض كلامًا لا يريد به التحريش، ولكن مَن أقصدهم هم مَن يمتهنون النميمة وأحيانًا ينتسبون للدِّين.

* * *

ظاهرة غريبة عايشتها لسنوات، ولم أجد لها تفسيرًا واضحًا، ثُلة من البشر يمدحونك ويصفونك بأوصاف لا تعتقدها في نفسك، ويرفعونك لمراتب سَامِقَة، ويرون فيك كل جميل، وفجأةً!! وغالبًا وبدون مقدمات ينقلب ثناؤهم العجيب إلى ذم وهجران، وتنقلب كل الحسنات إلى سيئات......

فالسؤال: هل كانوا صادقين في مدحهم؟!! أم هل كانوا عُميانًا وسُذَّجًا ولم ينتبهوا؟! وهذا ربما يكون مقبولًا لو كان في صفة أو بعض الصفات التي خفيت عليهم، لكن كيف يكون في كل شيء؟!!! والأعجب أنّه ليس هناك أسباب جلية؛ بل انقلاب فُجائي تعجز عن تفسيره!! ولو افترضنا أنّه حدث خلاف، فهل يليق بمؤمن أن يجور فيقلب الحسنات إلى سيئات، ويصبح في نظره الإمامُ شيطانًا!!!!!!

فلا أراها إلا أمراضًا مخفية وأشياء في النفوس....... فاللَّهم اعصمنا واغفر لنا.

* * *

إنه أمر جلل؟!!!

حُبّ الناس ومساندتهم لك، كالمزاج المتقلب، لا يثبت على طريق، فلا تتأمل كثيرًا. دوام الخير والحبِّ إلا من ربك سبحانه.

* * *

زميلي الطبيب، أكثر المرضى الذين يذهبون إلى المستشفيات إنما هم يبحثون عن اهتمام، عن ابتسامة، عن احترام، عن كلمة طيبة، قبل أن تقدم لهم الدواء والتشخيص - والذي بمقدورهم أن يجدوه عند غيرك من الأطباء - فعاملهم كما تحبّ أن يُعامَل أبوك وأمك وأبناؤك...

* * *

الاعتذار خلق كريم وعظيم، قلَّ في زماننا لأسباب كثيرة: منها الكبر، والعناد، والغرور، وحظوظ النفس...، وبالمقابل تغيرت رَدة فعل الناس، فبعض الناس إذا اعتذرت إليهم انتفش ريشهم، وزاد غرورهم، وطاروا بها في الأمصار، وقالوا: لقد اعترف بخطئه، وهذا دليل على سوء خلقه، ولكن العاقل وصاحب الخلق يعظم في عينه المعتذر، ويراه من مكارم أخلاقه وحسن مَنْبِتِه.

فاختر لنفسك إحدى الطريقين!

* * *

خُلق يكاد يندثر!!!

هناك خلق عظيم قد اضمحل واندثر في زماننا، وقد كان من أحد أوجه بناء المجتمع الإسلامي، وأحد الأسباب لزرع المحبة والألفة بين المسلمين، وعاملًا مهمًّا لتقليل النزاعات والخصومات، وخصوصًا بين الزوجين!!

هذا الخلق؛ هو أن يُبادر المسلم أو المسلمة إلى نقل الثناء والمدح الذي يصدر من شخص ما لشخص آخر غائب، فيقول: يا فلان

لقد سمعت فلانًا يُثني عليك، ويمدحك في غيبتك، وذكر فيك كذا وكذا......

فيكون سببًا في زرع المحبة والألفة بينهما حتى لو كانا متخاصمين أو بينهما جفوة، فنقلك للثناء بينهما سبب عظيم لتليين القلوب، وزرع المحبة، وزيادة الألفة بين المسلمين، وتفعل ذلك للَّه ﷻ.

لا شك أنّ هذا الخلق ليس سهلًا، ويحتاج لمجاهدة وإخلاص ونقاء سريرة، ولـكنـه يصعب عليك ابتداءً، ثم يسهل بـإذن اللَّـه إذا اعتدته.

* * *
* *
*

الحنين للأحبة

دموع الألم ودموع الحنين للأحبة ليست كباقي الدموع، فهي تترك أثرًا في القلب قد يدوم طويلًا!!

* * *

فراق الأحبة هيّج أشواقي وأحزاني، ولولا اللَّه والأنس به والطمع في موعوده لما طابت لنا حياة، ولمَا تلذّذنا بعيش. ولعلّ اللقاء الحقيقي والأبدي بهم يكون في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر سبحانه. فلا يخِيب من رجَاه، ولا يشقى من يتولاه مولاه.

* * *

رسالة إلى والدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

اشتقت لك، كنتَ سندي بعد اللَّه، كنتَ محلَّ مشورتي إذا احترتُ، مَن يُهوِّن عليَّ عندما أحزن؟! من يُكفكِف دمعي عندما أبكي؟! من يسند ظهري عند خذلان الأصحاب؟! من يجبر كسري؟! من يوجهني عندما تختلف الطريق؟! لو تدري كم صعبت الحياة بعدك؟!! ولولا اللَّه ثم أمي وزوجي وأولادي وأحبتي لما تحمل قلبي لوعة الفراق.

* * *

لي شوق وحنين للقاء أصحابي القُدامى والجلوس معهم، إنّهم جزء من ذكرياتي، قطعة من أرضي، حقبة من شبابي، عندما أسمع صوت أحدهم بعد زمن طويل أحسّ وكأنني عدتُ إلى أيام الشباب والهمة والكلمة الطيبة والابتسامة وحسن الظن.

للأمانة هم مختلفون في أفكارهم وآرائهم، لكنهم متفقون في احترامهم وتوقيرهم وابتسامتهم لمن يخالفهم. بينما في هذه الأيام افتقدنا ذلك الذوق في التعامل مع من نختلف معه. تجد شابًّا طريًّا يتفق معك في كثير لكنّه يُعاديك في القليل الذي يخالفك فيه، ويسيءُ الظنّ بك، ولا يقدر لك سنًّا ولا شيبة.

أحنّ إلى كلِّ الزملاء طلاب العلم والمشايخ والأطباء، الذين ساروا في دروب العلم والحياة المختلفة، مِمّن كانت بيننا وبينهم الألفة والمحبة رغم اختلاف توجهاتنا. فرّقتنا الأيام والمحن والابتلاءات، لكنّني ما زلت أراهم جميعًا بابتسامتهم ولو كانت بيننا المسافات. حفظكم اللّٰه جميعًا ورحم من فارقنا منكم وجمعنا في ساعة طيبة.

* * *

لا تَسْتَورد مشاعرك نحو من تحبّ؛ بل اجعلها تنبع من داخلك وتخرج من حنايا قلبك وجوارحك.

* * *

عندما تُطالع صورًا من الزمن القديم والجميل ترى رجلًا متواضع المظهر رثّ الثياب، ولكنّه يبتسم وتشعر بسعادته تخرج من ثنايا الصورة، وتنتقل عبر مراحل الزمن لتصل قلبك. وأمّا في أيامنا، فترى صورة حديثة لرجل يلبس أفخر الثياب، وآثار النعمة بارزة من حوله، ثم ترى حزنًا وضيقًا في وجهه، ومعها ابتسامته التي تخرج كرهًا، فكأنّ حزنه وتعاسته تخترق الحواجز لتمثل أمام عينيك.

* * *

أخي وصديقي الشهيد:

لعلي أخبرك بحالي وحال من حولي بعد استشهادك: يوم أن ودّعتك لم تُعطني فرصة لأحضنك، ولم تتركني أُعبِّر لك كما تعودنا عن محبتي وشوقي لابتسامتك!! غادرتني سريعًا، وكأنّك تشتاق لرؤية حبيب؟!! لم أكن أعلم أنك ستذهب بعيدًا ولن تعود!!! في بداية رحيلك أنكرتُ أنّك لن تعود!! طمأنت نفسي ووالديك وأحبتك، وقلت لهم: الشيخ سيعود، ليس من طبعه أن يسافر ولا يعانقنا!!! ولكن غيابك طال، ومشاعري اختلطت بين الشوق والحزن والصبر... لم أستطع حبس دموعي أمام نفسي لأبدي تَصبُّـرًا!! أمّا عن حال من حولي فلقد أحبّك كثير مِمّن حولي ولم يعرفوك، وصارت صورتك رمزًا للوفاء والعلم والنور. ولكن دعني أبوح لك بما أحسسته. لقد كنتَ تُديم زرع الابتسامة في قلبي، ولم تنسَ أن تبوح بمحبتي. للأسف يا صديقي لم أجد بعدك من يزرع الابتسامة من صحبي إلا القليل. فأكثرهم لا يهتم بأن يظهر محبتي ولا يعنيه أن يسعد قلبي. لقد انفضّ الكثير من حولك ومن حولي، لكنّك لستَ في حاجة إليهم، فأرجو أنّ اللّه سبحانه قد أَبدَلك خيرًا منهم. ولكنّني ما زلت أعاني مِمّا افتقدته برحيلك، ولعلّ اللّه يعوّضني بلقياك وأبي في مستقر رحمته.

اشتقت إليك يا صديقي!!!

* * *

ذهب الذين كنا نأنس بهم، وتَهُونُ برفقتهم مصائب الزمن والمحن بعد اللّه ﷻ. فإلى اللّه المشتكى.

كم أفتقدكم يا مشايخي!!

عندما ترجع بي الذاكرة لمن تعلمنا منهم وخالطناهم ورافقناهم من مشايخنا: من حفاظ القرآن والعلم الشرعي في بلادنا، أشعر بالفرح لأنّ اللَّه أنالني هذا الشرف، وأشعر بالحزن لأنّنا لم نعرف قيمتهم إلا بعد فقدهم. اللَّهم اغفر لهم جميعًا، واجمعنا بهم في الفردوس الأعلى.

* * *

رحل الشهداء بأجسادهم عنّا، وصعدت أرواحهم تنعم بالجنة، وبقيت آثارهم بيننا ترشدنا.

* * *

الشوق للأحبة:

ومن تمام المحبة والشوق للأحبة اتّباع ما كانوا عليه من الحق وحسن المعشر، والرجاء في اللقاء والاجتماع بهم في جنة الفردوس الأعلى برحمة اللَّه ورضوانه. ومن أحبّ النبي ﷺ وصحبه الكرام ومن تبعهم بإحسان: من علماء وصالحين ووالدَين مباركين، فلْيُشمِّر عن ساعديه، وليَحُثَّ الخطى ليلحق بالركب الكرام.

فاللَّهم من حُرِمنا صحبته منهم في الدنيا فلا تحرمنا صحبته في الفردوس الأعلى. ومن رُزِقنا صحبته منهم في الدنيا فأكرمنا بتمام الصحبة في الفردوس الأعلى. آمين.

* * *

وإذا ذُكر الأحبة جادت العين والقلم.

إنما هو شوق وحنين!!

لامني البعض وقال: تكثر من ذكر والدك الشيخ مصطفى التريكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكأنّك تسكن الأطلال؟!!

قلت: بل الأطلال تسكنُني.

ذكره ليس تجديدًا للأحزان؛ بل شوق وحنين، وذكرى تجدد العهد وتشحذ الهمّة للسير على طريقه، والتمسك بما تمسك به في زمن نُقضَت فيه العهود وبِيعَت فيه الذمم، وتفرقت فيه الهمم، وغاب الأب العالم الجريء في الوقوف في وجه الطغيان، واندثر الصديق الوفي، وسَادَ الكذب، واستُحلِّت الدماء لأتفه الأسباب، وخارت العزائم، وبِيعَ العلم بأرخص الأثمان لنيل حظوظ الدنيا، وفاز بالجائزة البليد، وبرز الجبان، وتفرق الخلّان، واجتمع أهل الخذلان. فلا تَلُمْني على حنيني لأهل الصدق والوفاء وخيرة الفرسان.

* * *

دموع الحنين للأحبّة..

هي دموع الحبّ، والحنين، والشوق، والبعد، والأمل، والغفران، والرحمة، والصفاء، والذكرى، والدعاء، والصبر، ودموع حارّة تحمل في داخلها الدفء والبرد.

هي ليست دموع الضعف، ولا السخط، ولا اليأس، ولا الحقد، ولا الحسد، ولا النفاق.

* * *

إن لنا أحبّة ربما قصرنا في حقوقهم لظروف الحياة، لكن يعلم اللَّه أنّ ألسنتنا تلهج لهم بالدعاء، والشوق لهم يزداد.

* * *

للذاكرة قدمان، تمشي بهما حيث تحب.

* * *
* *
*

الصحبة والإخوة

لستَ تجد الوقت لتُواسي صديقًا أو حبيبًا، وربما مللتَ من ذلك؟!

ولكن قد يأتيك اليوم الذي تبحث فيه عمن يواسيك ويشدّ مِنْ أزرك ولو بكلمة واحدة!!

فالدنيا لا تدوم لأحد، والمحن والمصائب والفتن دوّارة. فليكن شعورك بمحنة غيرك كأنّها محنتك، فلعلّ اللَّه يرحمك ويرفق بك في محنتك.

* * *

ليس صديقًا حقيقيًّا من يتفقدك وقت فراغه!!

* * *

الصداقة الحقيقية!!!

ستمر عليك أيام ومحن وإحن لا يحصيها إلا اللَّه، وسينفضّ من حولك الكثير واحدًا بعد الآخر كلّما اشتدّت المحن، ولكن ذلك الانفضاض سيكشف لك عن قلة مخلصة محبة صادقة كانت صامتة ولم ترها وسط أولئك الغثاء المُنْفَضِّين، هم ذهب خالص، وجواهر ثمينة لا ترضى أن يقتنيها إلا المحبّون، هؤلاء القلّة الصادقة الصدوقة بلسم لجراحك وألمك، ومحو لحزن السنين. فاللؤلؤ لا يُكشف عنه إلا بعد رمي آلاف من المحارات الفارغة الخادعة، لتجد ربما لؤلؤة أو اثنتين تُعوِّضك عن كلِّ تلك البهرجة الزائفة.

* * *

الصديق الذي يتخلى عنك إذا ابتليت من البلاء أن ترضاه صديقًا.

* * *

من مُتع الدنيا أن تقابل بعد زمنٍ أحد المحبّين مِمّن لا تظنّه يذكرك، ويقول لك: إنّ لك في دعائي نصيبًا.

* * *

عندما كنا صغارًا، قرأنا وحدثونا عن الصداقة، وأنها جنة في الأرض، وعسل لذيذ طعمه ومذاقه، ولمّا كبرنا وخبِرنا الحياة اكتشفنا أنّها - في الغالب حلم وخيال، وحنظل مرّ الطعم والمذاق.

* * *

بِجَرَّة قلم!

خرج فلان يومًا مع أحد أصدقائه الجدد في نزهة، فتصافحا وجلسا وجهًا لوجه، وبدأ الصاحب الجديد بالسؤال عن أحوال فلان وأخباره، فرد فلان: حياتي كما هي، أحبّ فيها التغيير والتجديد ولا أطيق الاحتفاظ فيها بنفس النمط... وفي أثناء الحديث قال الصاحب الجديد لفلان: أين صاحبك الذي اعتدتُ أن أراه معك؟! قال فلان: إنه لم يعد صاحبًا لي فقد هجرته منذ زمن. قال الصاحب الجديد: ما الذي حدث يا فلان، وقد كنتَ تذكره بجميل القول والفعال، ولا ترضى فيه نقدًا ولا حتّى بالإشارة؟! لقد كنتَ تمدحه في كل مجلس حتّى ظنّنا أنك أبدًا لن تفارقه أو تهجره؟! كنتَ تصفه وصفًا لم نعتد أن نسمعه في وصف بشر؟! هنا التفت فلان لصاحبه الجديد، وقال: لا أريد أن أطيل الحديث عنه، فإنّه لا يستحق أن أذكره من ضمن البشر!

فقال الصاحب الجديد: لا بد أنه ارتكب جرمًا لا يغتفر؟! أو استحل دمًا لا ينجبر؟ فقال فلان: نعم، انتقدني يومًا وخَطّأني باسم النصيحة، وأنا لم أعتد هذا منه ولا من أحد من البشر، فهجرته وبدلته كما بدلت غيره بِجَرَّة قلم!

* * *

قال رسول اللَّه ﷺ: « **الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تنافر منها اختلف** » [مسند البزار].

فهناك أصناف من البشر يريدون فرض مصادقة ومخالطة بعض الناس عليك، وإذا لم تفعل اتهمك وطعن في خلقك!!!

فأقول له:

أولًا: قد يكون مقياسك في اختيار الأصدقاء ليس كمقياس من تنكر عليه. فلربما تفضل اختيارهم بالتوافق في المهنة، أو العادات والطباع. بينما من تنكر عليه يختار أصحابه مِمن يوافق فكره ودينه...

ثانيًا: حتّى لو سلّمنا بأنّ صاحبك رجل من الخَيِّرين، فهل عدم مخالطته هو سوء خلق ودين؟!

هذا الخلط سببه عدم وجود مقياس محدد يُرجع إليه، واتباع الهوى والعادات...

* * *

إنَّ لنا إخوة وأحبة عاشرناهم وخالطناهم وعرفنا فيهم صفات الرجال، فسنظل نحبّهم وندعو لهم ولو جفونا.

* * *

إذا أردت أن تعرف صاحبك على الحق أم على الباطل فانظر لأقواله وأفعاله، وانظر لقيمة وحقيقة أنصاره، ولا تنظر إلى أعدادهم.

* * *

منصور الفقيه:

احْــذَرْ عَــدُوَّكَ مَــرَّةً

واحْذَرْ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَـرَّةْ

فَـلَـرُبَّـمَا انْـقَلَبَ الصَّدِيــ

ـقُ فَـكَانَ أَعْلَـمَ بِالمَـضَرَّةْ

من فهم المقصد من هذا الشعر وطبّقه في حياته استراح كثيرًا، ولنا من التجارب المريرة ما يؤكد ما في هذه الأبيات، والمؤمن يتعلم من أخطائه، طبعًا ليس المقصود كلُّ الأصدقاء على الإطلاق فهذا ظلم، وغير واقع، ولكن للأسف ينطبق الأمر على كثير منهم، وخصوصًا الصداقة الجديدة الطارئة التي لم تثبت بالتعامل بالمال أو السفر أو الجيرة.

* * *

لا يمكن أن تسميه صديقًا وتأمنه حتى تختبره بإحدى ثلاث ولو أثنى عليك ومدحك ليلًا ونهارًا:

١ - تعاملت معه بالمال؟ فعندها تعرف الرجال.

٢ - سافرت معه؟ فالسفر يُسفر عن معادن الرجال.

٣ - جاورته؟ فالجوار يكشف الأسرار.

* * *

بعض الناس إذا بـالغت فـي الـتـودد إلـيهم والتـقرب منهم تأليفًا لقلوبهم يزدادون في المقابل جفاءً وتجاهلًا، ولذلك عليك أن تترك دائمًا مسافة بينك وبينهم، واحتفظ بخلقك الحسن معهم، ولكن مع حفظك لكرامتك، ولا تُهِن نفسَك فيُهِينُوك، فخطوة إلى الوراء لا تعني الكبر والتعـالـي، ولكن حفظ النفس مطلوب مع كثير من البشر. وهذا لا ينطبق على النفوس الكريمة التي خالطتها وخابرتها بالسفر أو المال أو الجيرة، فأولئك التودّد إليهم يزيدك رفعة ومحبة في أعينهم.

* * *

عدم حبّك لفلان لا يعني أنّه سيئ، وعدم حبّ فلان لك لا يعني أنّك سيئ، المعيار هو الدين والخلق والإنصاف، وهو عزيز.

* * *

جراحنا غائرة، تعددت أسبابها، وتنوعت أشكالها، وليس جرح يؤلمنا كجرح من وَثِقْنا فيـهم وفـتحنا لـهم قـلوبنا، وأفضينا إليهم بهمومنا، ورجونا أُنسهم يوم داهمتنا الهموم فكان الخذلان، ولكنّنا باللّه ثم بالصبر حوّلنا تلك الجراح التي أضْنَتها الخطوب إلى منابع للخير والسرور تفيض علينا وعلى مَن حولنا.

* * *

كثير مِمّن تَسْتَنْصِحُهم وتظنّهم أصدقاء لن يفيدوك بنصحهم، ولن يحسوا بما يصيبك حتى تصيبهم نفس المحنة.

* * *

من أدق الأشياء التي تعرف بها صدق صديقك في محبته أن ترى

رَدّة فعله عندما يتكلم فيك غيره ويطعن ولو بالقرائن. واقرؤوا قصة الصدِّيق ﷺ في الإسـراء والمعراج عندما جاءه المشركون تـكـتمل الصورة عندكم.

* * *

إذا انقلبت المحبة الظاهرية إلى عداوة وبغضاء لاختلاف أو سوء فهم فلا تحزن، فقد كشف اللَّه لك ما كان مستورًا.

* * *

من سعادة الدنيا وجميل ستر اللَّه ﷻ وفضله أن تجد من إخوانك من لم تره عيناك يدعو لك بظهر الغيب.

* * *

الكثير يبحث عن أكبر عدد من الأصحاب، ويبني بُروجًا وحصونًا على ما يظهرونه ويقولونه في أوقات السعة والراحة والفراغ... ولكنه سيكتشف بعد زمن وبعد محن وإحن أنّ ذلك العدد الهائل يتلاشى في دقائق، ويختفي ولا يترك أثرًا في أول محنة وأول عثرة، ولا يبقى إلا الذهب الخالص النقي، وهذا قد يمثل أشخاصًا لا يَتَعَدُّون أصابع اليد الواحدة. فلا تُفْنِيَنّ عمرك في الطمع في أكثر من ذلك، واهتم بالكيف ولا تهتم بالكَمّ.

* * *
* *
*

تربية النفس

كلّما همّت نفسي بنشوة لمدح أتاها ذكّرتها بماضيها، وحذرتها السلب بعد العطاء، وأمرتها بالحمد لمن أعطاها، والتذلل والانكسار لمن سترها وسوّاها. فحالها مع المدح؛ إمّا استدراج فاضح مميت، وإمّا نعمة يعقبها شكر وتواضع للَّه فتُزَكّى وتنمى.

* * *

إنّ من مراتب معرفة حقيقة النفس وتزكيتها والرُّقي بها في مسالك العبودية والتنقية والتصفية أن تنشغل بمحاسبتها ومراقبتها ومتابعتها في كلِّ أمرها: كبيره وصغيره، جليله وحقيره، قديمه وحديثه، حتّى ترتقي بها المنازل العليّة، والمراتب المرضية، والأحوال السَّنيّة، فحينها يصفو كدرها، ويزول خبثها، وتجد لذّتها، وتسمو روحها، وتنال رضوان ربّها وذلك هو المنتهى.

* * *

كان العلماء الربّانيون قديمًا يُركِّزون على غرس فكرة « محاسبة النفس » في تلاميذهم وأتباعهم، ويصرفون جُلَّ الأوقات في ترسيخ هذا الوَازِع وتعميقه بالتطبيق العملي، حتّى نشأ جيل يراقب نفسه، ويتحرّى الحقّ قبل أن يحاسبه غيره، لذلك كان أثر العلم والوعظ فيهم أثرًا راسخًا عميقًا، مع قلة ما يتعلمونه.

أمّا في أيامنا فالتركيز يكون على حشد المعلومات، وتشقيق المسائل من كثير من طلاب العلم، وقلّما يتم التركيز على تربية الأجيال على

وَازِع « محاسبة النفس »، ولذلك نشأ جيل يمكنه أن يتنقل من مسألة إلى أخرى، ويحرّرها نظريًّا، لكن لا تجد أيّ أثر لذلك على حياته وتفكيره؛ لأنّه أهمل زرع بذرة المحاسبة الذاتية النابعة من مراقبة اللَّه ﷻ.

* * *

حوار بيني وبين نفسي!!!

- قالت لي نفسي يومًا: انظر إلى فلان كم عنده من مال، وجاه، وذريّة، وفرش وأبنية...؟!!

قلت لها: حسبك يا نفسي! أنت مغرورة، وبالمظاهر مأسورة! هل علمت باطنه؟! هل دريت بما فُتِن؟ هل دخلت بيته، ورأيت ما أهمّه؟! هل علمت أن ما ذكرتِ ربما يكون سبب شقاوته؟! هل اطلعت على ما ابتلاه اللَّه به واختبره؟! هل وهل...؟؟؟

- قالت لي نفسي: لا، لا، لا،.....

قلت: كيف حكمتِ؟! لو كانت السعادة تُجلب بما اشتهيتِ، لكان الأنبياء أشقى الناس - حاشاهم - ولكان فرعون وقارون وهامان أسعدهم وأبقاهم!!!

وقلت لها مُعدِّدًا ما أصاب الأولياء من بلايا ورزايا...

- فقالت: باللَّه عليك لا تكمل! إنّما نحن أهل السعادة، وأعاهدك ألا أعود لذلك!

فقلت لها: يا نفس، كم مرة عاهدتِ ونقضتِ؟! وكم مرة بَصَّرْتُكِ وعميتِ؟!! فلستُ أركن بعد اليوم إليك، وسألجأ لربّي ليعصمني ويرحمني.

* * *

واللَّه لو جلستَ يومًا واحدًا وحاسبتَ نفسك فيما قلت، وفعلت، وفكَّرت...، لَمَا وجدتَ وقتًا للبحث عن عيوب الآخرين، ولتتبّع عثراتهم، ولسجدتَ لربّك باكيًا خاشعًا متضرعًا أن ينجيك من عذابه، وأن يلبسك لباس الستر والعفو.

* * *

مهما حاسبنا أنفسنا وراقبنا أفعالنا وأقوالنا، فإنّه لا يمكننا أن نعرف كامل حقيقة نوايانا وخبايانا، ولا يمكننا أن نجزم بصدق وإخلاص نوايانا في كثير من أمورنا، فمن يعلم حقيقة ذلك كله هو اللَّه وحده سبحانه؛ فهو المطّلع على قلوبنا وخطراتها، وكم من مدَّعٍ للنية الخالصة واللَّه يعلم أنّها ليست كذلك، وأنّها قد تشوبها حظوظ الدنيا ولذّاتها، وكم من خائف مترقب يشكُّ في إخلاص نفسه وهو عند اللَّه صادق ومخلص.

فكيف بعد هذا كله يدَّعي البعض معرفته بنوايا الناس وخبايا نفوسهم ويسرف في تتبعها، وهو عاجز عن معرفة حقيقة نفسه ونواياها؟

* * *

ومن العلامات الفارقة بين زماننا الذي نعيشه وبين زمان العلم والعلماء والتربية والتزكية الحقيقية التي عاشها ذلك الجيل الفريد المبارك من أئمتنا وعلمائنا الربانيين:

أنّهم كانوا يسعون لتربية وتزكية وتطهير النفس من الأنا وحبّ التعالي والظهور على إخوانهم من المسلمين مهما اختلفوا معهم

وفاقوهم بالعلم والعمل؛ فلذلك رفع اللَّه قدرهم وذِكْرَهم ونشر بينهم المحبّة وحبّ الخير ونفع بهم الأمة على مرّ الأزمان.

أمّا في زماننا؛ فقد برز حبّ النفس في أشكال وصور كثيرة، اختلط فيها الأمر على الكثيرين، حتّى صار حبّ النفس والظهور يلبس أشكالًا متعددة، منها:

- حبّ النقد للغير وتخطئتهم وتحقيرهم باسم الدفاع عن السنّة والذبّ عنها.

- حبّ التكتّل والتميز بأسماء تُضْفِي على حامليها هالة من العصمة والرفعة عن باقي المسلمين بحجج كثيرة، تنتهي إلى ادعاء التفرد بالحق وفهمه واتّباعه.

* * *

كلما زاد عمرك، وزاد اطلاعك وعلمك، ومحاسبتك لنفسك، علمت قلة علمك وكثرة ذنوبك وأخطائك فيما لا يراه الناس، واحتقرت عملك أمام غيرك.

* * *
* *
*

خواطر بعد الأربعين

يعيش الإنسان بفكره عمرين: عمر قبل الأربعين، وعمر بعده.

بعد الأربعين: يفتّش في ذكرياته عن كلِّ ما يزرع ابتسامته وسعادته، ويهمل ما أزعجه وأتعسه.

بعد الأربعين: يكثر من الحنين للماضي الجميل، ويقلُّ شوقه لغير القديم.

بعد الأربعين: يقلُّ إبحاره في خياله، ويسعى للعيش مع واقعه وأسبابه.

بعد الأربعين: يتمسك الوفيّ منّا بقديم خِلّانه، ولا يصفو كثيرًا للجديد ولمتقلبي زمانه.

* * *

لو قيل لي: لك أن تختار سببًا واحدًا لتحسين جودة ما يُكتَب في العلم الشرعي خاصة ثم سائر العلوم عامة؟

لكان جوابي: ألا يسارع طالب العلم أو الكاتب بالتأليف قبل سن الأربعين. وإذا بادَر بالتأليف قبل الأربعين فعليه أن يُعيد النظر الكامل والدقيق فيما ألّفه وكتبه، وسيرى الفروق البيّنة بين العهدين.

* * *

التأليف قبل الأربعين!!

تأملتُ كثيرًا في موضوع التأليف قبل الأربعين مما قرأته لعقود من

سيرة العلماء، فوجدت أنّ أكثر من يفهم كلامي هذا هم من تجاوزوا سنّ الأربعين وطلبوا العلم قبله وبعده، وأدركوا الفرق الشاسع في الفهم، والهدوء، والتفكير، وربط المسائل ببعضها، والتروي في الحكم، وإيجاد العذر...، قبل وبعد الأربعين.

أمّا من ألّفوا وكتبوا قبل الأربعين ففي الغالب تجد عندهم - وليس شرطًا لكن الغالب مهما جمعوا من علم بعض الآتي:

- التسرع في فهم المسألة من وجه وإهمال الأوجه الأخرى.

- النظر إلى المسائل على أنها أبيض أو أسود، ولا يتفحصون اختلاف الأقوال، ولا يطيلون النظر في النصوص.

- التسرع في إطلاق الأحكام قبل أن يتفحصوا أسباب الاختلاف في المسألة والدوافع العلمية والشخصية...، والاعتماد على قول أو بعض الأقوال للعلماء في فهم النصوص، ثم البناء عليها وجعلها قولًا واحدًا (وهذا كثير عند الشباب).

ولذلك من تأمل جيّدًا سيرة العلماء القدامى الذين ألّفوا قبل الأربعين فستجدهم قد راجعوا أنفسهم مرارًا؛ بل بعضهم غيَّر كلَّ مذهبه في الكتابة. وليست قصة الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع « الموطأ » عنكم ببعيد، فقد ظلّ يُنقِّحه، ويحذف منه لأكثر من أربعين عامًا، وقيل لو عاش لزاد تنقيحًا!! وكذلك الإمام الشافعي كتب مذهبه مبكرًا، وكان يُحسَب على الإمام مالك، ثم غيَّر مذهبه وكثيرًا من آرائه الفقهية في آخر حياته، وخاصة بعد رحلته لمصر.

* * *

اللذّة الحقيقية التي تطول؟!!

بعد انقضاء الأربعين بمراحل، ومعافسة متع وشهوات الدنيا لعقود، ومخالطة علماء وصالحين وعوام المسلمين؛ غنيهم وفقيرهم، تقيِّهم وشقيِّهم...، والسفر في بلاد اللَّه الواسعة، والاغتراب عن الوطن لزمن طويل، وصحة ومرض...، لا أجد الآن لذّة مع مشقة الحياة وذهاب الشباب كلذّة مذاكرة العلم مع تـقيٍّ نبيه، وطـالـب أريـب، ومطالعة كتاب أقطف منه أطايب الثمر، وكسماع محاضرة أقتفي بها الأثر، وأحياناً أشعر كلّما تعلمت شيئًا جديدًا كأنّني طفل أُهديَتْ له حلوى يشتهيها، أو لباسًا للعيد يزهو به، وعرفتُ لِمَ تلذّذ علماؤنا بالطلب مع ضيق العيش وشدة الألم، وقلة الزاد، مع أنّني لست أجد نفسي حتّى في ركابهم؛ بل أسعى حثيثًا لتلمّس خطاهم، وأقول: إذا كان من مثلي يتلذّذ بحواشي علمهم، فكيف بلذتهم وهم قد حازوا أكبر نصيب منه مع زهد وتقوى؟!!.

* * *

فاخرتني نفسي يومًا بعد الأربعين!!!

كنتُ يومًا ألوم نفسي وأعاتبها..

- فقالت لـي: حُـقَّ لك أن تفتخر، وأن تعجب بنفسك بـدل أن تعاتبها!!

قلت: وما ذاك، وبماذا تفخرين؟!

- قالت - وهي تعدّد لي -: لقد تركتَ هذه وتركتَ هذه وهذه.... من السيّئات والمعاصي ورعًا وتقوى....!!

فتأملت فيما قالت، وتأملت حالي قبل الأربعين وبعد الأربعين، فأبصرت غرورها، وتغريرها بي.

فسارعت إليها بقولي:

يا نفسُ، أمَا آن أن تتوبي؟!!

يا نفسُ أما آن أن تتعظي؟!

أما آن أن تكفِّي عن الغرور والتغرير؟!!

لقد كِدْتِ أن تُـفْـتَـنِـي وأن تَـتَـرَدَّي!!

يا نفسُ، هلا أنصفتِ؟!! وقلتِ أنّ ما تركتيه بعد الأربعين، إنّما تركتيه لفوات الحظوظ، وذهاب زهرة الشباب وزينتها؟!!

ألا تذكرين قبل الأربعين عندما كانت تُعرض عليكِ تلك الحظوظ والفتن، كيف كنتِ إليها تسارعين وأنتِ بحالها تعلمين؟!!

ما أسرع ما تغفلين، وتغترّين وتُـفْـتَـنِـين!!!

يا نفسُ كفاكِ، فقد آن لك أن تعتبري، وأن تتوبي وترجعي، وتندمي، لعلّك تبلغين وتُرحمين.

* * *

صدِّقوني سيأتي عليكم زمـان تأنسون فـيه بالـكـتب كما تأنسون بأطفالكم، وتتلذذون بها كما تتلذذون بطعامِكم وربما أكثر. فصاحبوا الكتب مبكرًا لعلّكم تجدون هذه اللذّة بعد طول العشرة حين ينضج فكركم ويلين قلبكم وتهدأ نفوسكم.

* * *

كـثـيرًا مـا كـان ينـظر أحدنا لعضلاته (معنويًّا) ويفتتن بقدراته، ويستنصر بفهمه وذكائه وفطنته.....

ويغرق في فهم الجسد وأحوالـه ويـهـتم بظاهره.... ذلك قـبـل الأربعين، أما بعدها:

عرفنا أننا كنا نُـفْـتَـتَنُ بالجسد وأهملنا الروح كثيرًا.

وصرنا نبحث في حقيقة القلب وصلاحه وصلاح الروح، وفهمنا أنه لا حقيقة للجسد بدون صلاح القلب والروح.

* * *

تعلَّمتُ بعد عقود من التفكير والاطلاع ومخالطة أهل العلم في الحياة وفي الكتب:

- أن مفهوم أهل السنة والجماعة أوسع مما ضيقته الجماعات.

- وأن الرحمة بالخلق أصل الدعوة.

- وأنَّ سعة الأفق والإدراك أساس الفهم الصحيح للعلم.

- وأنَّ الورع والخشية أساس العمل الصحيح.

- وأنَّ التأني أساس إصدار الأحكام.

- وأنَّ الخبيئة هي أساس كل ما سبق، فبها يكون صلاح القول والعمل والبركة والقبول.

* * *

خواطر مع التاريخ

لا شكَّ ولا ريب أنّ التاريخ يُعيد نفسه!!

إذا أردتَ أن تفهم ما يجري حولك، فما عليك إلَّا أن تفتح كتب التاريخ التي كتبها الرجال شهودُ العيان، وستجد تفاصيل لا تتصورها، فقط عليك أن تغير أسماء الأشخاص وستفهم كلَّ شيء!!!

اقرؤوا التاريخ من مصادره، من شهود العيان الموثوقين، تفهموا كلَّ ما يدور حولكم، وتتضح لكم الرؤية في أمور كثيرة.

* * *

اقرأ التاريخ جيدًا، وافهمه بكلِّ أحداثه، وعندها ستفهم حاضرك جيدًا.

* * *

لا يريدونك أن تنسى تاريخك، ولكنّهم يريدونك أن تعرفه مُشوَّهًا.

* * *

عندما تتنكَّر لماضيك العريق، وتعزل نفسك عن حاضرك المرير، فإنّك لن تستطيع أن تبني مستقبلك المشرق.

* * *

من باب التيسير على قارئ التاريخ أقترح تقسيم المؤرخين من حيث تعاملهم مع الخبر إلى ما يلي:

النوع الأول: المؤرخ الذي يركّز في كتابته أو حديثه عن الأحداث التاريخية على الخبر نفسه، ونقله، والتأكّد منه صحةً وضعفًا، ولا يهتم

كثيرًا بالتحليل والسبْر والاستقراء للأحداث، وربطها والخروج منها باستنباطات ربما تفيد، ولا شكَّ أنّ هذا النوع مهم جدًّا لتثبيت الخبر التاريخي والروايات، وهذا قليل ولكنّه غير كافٍ، لأنّ العبرة هي باستخلاص واستقراء التاريخ. ولكن هذا مهم من ناحية التوثيق.

النوع الثاني: المؤرخ الذي يهتم بالتحليل والاستقراء للأخبار، ولكنه لا يهتم بدقة ثبوت تلك الأخبار، وما مدى صحتها بطريقة علمية، فهذا عيب لما يترتب عليه من بناء استنتاجات على أخبار غير دقيقة، والتي قد تؤدي إلى سوء النتائج وتطبيقها. وللأسف هذا النوع هو الغالب، وهو الذي يُبْهِر الناس بتحليلاته، ولكن المحصلة تشويه للتاريخ والأخبار. والفائدة منه فقط للذي يميز أن يتعلم أسلوب الاستقراء والتحليل.

النوع الثالث: المؤرخ الذي يجمع بين النوعين الأولين، فيجمع بين دقة الخبر والتحليل. وهذا هو الذي تخرج غالبًا استنتاجاته قريبة للواقع، ومفيدة للناس وللباحثين، وهذا للأسف في زماننا أقل من القليل، ولكن في الزمن الأول هم كثر، ومنهم الإمام المؤرخ الفقيه ابن خلدون رحمه الله.

* * *

لن يفهم الحاضر إلا من فهم الماضي ليُعدَّ نفسه للمستقبل.

* * *

اختزال تاريخ الشعوب والحكم عليهم بمواقف ومظاهر بعض أفرادهم المتمثلة في: ساسة فاسدين، أو إعلاميين مهرجين، أو رجال

أعمال تافهين، كلٌّ منهم يسعى للشهرة، أو للمنصب؛ ليُسَخِّر ما يملك من مـال أو إعلام لخدمـة شهواتـه، هذا اختزال ظالم، وغير منصف، ولا يعبِّر عن حقيقة تاريخ وأخلاق تلك الشعوب.

* * *

لعلّ من أصعب أنواع العلوم بالنسبة لعامة الناس دراسة وفهم التاريخ واستيعابه للاستفادة منه؛ لأنّه يتطلب معرفة ودراية بأساسيات علوم مختلفة؛ لتستـطـيع قراءتـه بطريـقة صحيحة وشاملة ومستوعبة للأحداث التاريخية.

ولعلّي هنا أذكر بعض أنواع المؤرخين باعتبار تدوين الخبر:

النـوع الأول: المؤرخ الـذي عايـش الأحـداث التاريخية بنفسه، وربما كان جزءًا منها، ولذلك هو ينقلها من واقع عملي، ثم يحلّلها حسب معايشته وفهمه للأحداث، وحسب خلفيته الثقافية والفكرية. ولا شكَّ أنّ هذا أقوى وأهم وأدق مصادر التاريخ، ومع ذلك لا يخلو من أخطاء تتعلق بمصداقية وخلفية المؤرخ الفكرية...، ومثال لذلك العلامة المؤرخ الشيخ الطاهر الزاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونقله لأحداث احتلال الطليان لليبيا.

النـوع الثاني: المؤرخ الذي لم يعايش الأحداث التاريخية بنفسه، ولكنّه نقلها مباشرة ممن عاصروا تلك الأحداث، وعرفوا صانعيها عن قرب. وهذا النوع يلي في الأهمية النوع الأول، لكنّه لا يخلو أيضًا من عيوب ترتبط بمصداقية وثقافة وفكر الناقلين لتلك الأحداث.

النوع الثالث: المـؤرخ الـذي لم يعايـش ولم ينقـل عمـن عاصـر

الأحداث التاريخية، ولكنّه استقاها من الكتب والمراجع والوثائق التاريخية. فهذا النوع ربما أقل الأنواع دقة وواقعية؛ لافتقاده للمشاهدة والنقل المباشر للأحداث، ولاعتماده على شخصية وثقافة وفهم وفكر المؤرخ الكاتب، ولكنّه مصدر مهم أيضًا، فله ما له وعليه ما عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين

* * *
* *
*

فِهْرِسُ المُحتوَيَاتِ

* * *
* *
*

للتواصل مع المؤلف

طرابلس - ليبيا

E.mail: thamrat_alsineen@yahoo.com



هذا الكتاب

خواطر رائعة ومشوقة ومؤثرة في النفس، تسري فيها الحياة؛ فتشعر بنبضاتها. ودائما ترتبط الخواطر ارتباطًا وثيقًا بالإبداع، وتقتضي ولادتها إتقان عدة فنون تتداخل وتتناغم بشكل معقَّد عجيب، كما تقتضي توفُّر سعة الخيال وروح التساؤل والفضول عند صاحبها لكل ما يقرأ ويسمع. وتقييدها لا يكتمل إلا بإتقان فنون التعبير عنها، والذي يحتاج إلى دُربة ومُكنة لغويتين لا تتأتَّيان إلا بالقراءة المتواصلة ولزمن يطول لأمراء وفطاحل البيان والفصاحة والأدب.

وقد تجوَّل المؤلف فيه بين بساتين المعرفة المتنوعة ليزرع في قلوب قُرَّائه زهورًا متنوعة، يفوح أريجها على النفس لتزكو بها وترتقي في مدارج السالكين.







الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية

هاتف: ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٠٨٠٢٨٧٦

فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)

الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣+)

www.daralsalam.com info@daralsalam.com



ISBN: 978-977-717-575-3